

# المقطف

الجزء الحادي عشر من المجلد التاسع والعشرين

١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٤ - الموافق ٢٣ شعبان سنة ١٣٢٢

## نقدم الجغرافية

في القرن التاسع عشر

من قلم العالم جلبرت جروزقتر

كان القسم المعروف من اليابسة سنة ١٨٠٠ يبلغ نحو خمس اليابسة كلها وكانت الخرائط ترسم ويترك القسم المجهول بلا كتابة . فاجاءت سنة ١٩٠٠ حتى بلغ ما اكتشف من اليابسة عشرة اجزاء من احد عشر جزءاً تقريباً بقي جزءاً من احد عشر مجهولاً ( انظر الرسم الذي في صدر هذه المقالة ) . والجزء المجهول متفرق على سطح الارض بقعاً صغيرة وليس هناك مساحات واسعة لم تكشف الا في جهة قطبي الارض الشمالي والجنوبي والفرق بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر من هذا القبيل ان الاول اشتهر باكتشافاته البحرية والثاني اشتهر باكتشافاته البرية كما يتبين مما يأتي

### افريقية

كانت قارة افريقية على الخارطة منذ مئة سنة بقعة سوداء تحيها حاشية بيضاء قليلة العرض مع قريها من اوربا ووقوع ساحلها الشمالي موازياً لساحل اوربا الجنوبي على مسافة ألف ميل وما ذلك الا لان رداة اقليمها جملت اسبانيا وفرنسا وانكلترا والبرتغال يشحن باوجهين عنها ويتزاحمن على الاستعمار في اطراف اميركا والمند السخية وانما قصدن افريقية للتجارة بالزبيب فيها . اما الآن فقد اصبح معظم القارة معروفاً بفضل لنتسوت وستنلي وباكر وسيلك ومنجور وغيرهم من اهل السياحة الذين جابوها طولاً وعرضاً فأناروا ظلماتها ولم يبق مظلماً سوى بقع صغيرة متفرقة لا بد ان تكشف قريباً . وقد ضمت دول اوربا كل ميل منها الى املاكهن

بالطرق السلمية ماعدا المغرب الاقصى والحبيشة على حين ان استعمار اميركا والمند كلفهن الوف الرجال ويدررات الاموال

وام ما في تاريخ اكتشاف افريقية اكتشاف منابع انهرها الاربعة العظيمة وهي النيجر والزيمبيدي والنيل والكنجيو فان الرحالة بروس اخترق القارة في اواخر القرن الثامن عشر من البحر الاحمر حتى بلغ اعالي النيل الازرق في الحبيشة (الانيرة) ثم سار حذاء النهر حتى ملتقاءه بالنيل قبلي بربر واستأنف السير من هناك الى القاهرة . اما الآن فقد اكتشف مجرى النيل على مدى طول مسافة ٣٤٠٠ ميل . واكتشف ما طوله ٢٦٠٠ ميل من النيجر وبقي قسم صغير في اواسطه لم يكتشف بعد وما طوله ١٥٠٠ ميل من الزيمبيدي ونحو ٣٠٠٠ ميل من الكنجيو وهو نهر لا ينفوق حجماً الا نهر الامازون في اميركا الجنوبية

اما مكتشف مجرى النيجر ففراخ انكليزي اسمه منجو باريك اتدبته الجمعية الافريقية الانكليزية لذلك ناسر من غمبيا في غربي القارة سنة ١٧٩٦ الى مسافة مئات من الاميال وعاد الى انكلترا ثم استأنف السير سنة ١٨٠٥ فقطع نحو التي ميل من النهر بقاربه ومعاً اربعة من الرفاق حتى اذا كاد يبلغ منابه هاجم الاهالي قاربه فانقلب به وغرق قبل ان يدرك غايته وبلغ اثبته

وبعد موت باريك قام دنهام وكلا برتون ناسرا من قزاق جنوباً الى الصحراء الكبيرة واكتشفا بحيرة تشاد ثم سارا الى سكونو على النيجر . ونالها سانج فرنسوي اسمه كاليد فوصل مدينة نيمكتو سنة ١٨٢٨ . ثم سانج آخر اسمه فخرج الى ناسر من النيجر الى بحيرة تشاد وتوجه شرقاً ماراً في وداي ودارفور والسودان المصري

على ان من اعظم المكتشفين لفتستون الرحالة الانكليزي الشهير فانه سافر الى افريقية سنة ١٨٤٠ وكان طبيباً مرسلأ فبدأ سياحته من مدينة الراس وظل يتوزل شمالاً فاجاءت سنة ١٨٤٩ حتى كان على بعد ٨٠ ميلاً من مدينة مفكتنج جنوباً و١١٠ ميل من مدينة الراس . واكتشف بحيرة نجامي وما زال يوالي السفر حتى بلغ ساحل الاثنتيني عند مدينة لواندا ثم عاد الى نهر الزيمبيدي واكتشف الشلالات التي سماها باسم الملكة فكتوري يا وبحيرتي نياماوشيرا اللتين يجري نهر الزيمبيدي منهما

وسنة ١٨٥٩ سافر القابطان الانكليزيان برتون وسبيك من زنجبار قصد اكتشاف بحيرة كثر التحدث بها في تلك الايام فلما بحيرة تنجيكا ثم عادا الى زنجبار واخرقا فاسر برتون جنوباً وسبيك شمالاً برفقة صديق له واكتشفا بحيرة فكتوري يا نياتزا سنة ١٨٦١ . وفيما كانا

يدوران حولها وجدا نهرًا كبيرًا يخرج منها (البحر الأبيض) ويمجى شمالًا فساروا حذاءه حتى التقيا بالسرعصموتيل باكر (باشا) وكان قد قدم من الخرطوم واستأنف باكر المسير غربًا حتى اكتشف بحيرة البرت نيازنا. وهذه البحيرة وبحيرة فكتوريا نيازنا هما البحيرتان اللتان يستمد النيل أكثر ماؤه منهما

وفي سنة ١٨٦٥ قصد لفتسون بحيرة تنجنيكا واكتشف بحيرتين أخريين ثم انقطعت اخباره عن أوربا فأرشد المستر غوردون بنيت صاحب جريدة نيويورك هيرالد الرحالة ستبلي للتفتيش عنه كما هو معلوم فسافر ستبلي من زنجبار غربًا حتى بلغ بوجيجي على ساحل بحيرة تنجنيكا الشرقي فوجده فيها . ودار ستبلي حول بحيرة فكتوريا نيازنا ثم اكتشف بحيرة البرت ادورد وتوجه غربًا فبلغ نهر الكنجو وسار حتى ساحل الائلتنيكي . وفي سنة ١٨٧٨ عاديسى في اجنياز افريقيا من الغرب الى الشرق للتفتيش عن امين باشا واتقاه . وسافر من مصب الكنجو فرأى في سفرته هذه جبال القمر

وقلاه سياح ورواد آخرون فاكشفوا بلادًا أخرى مجهولة منهم دونلدسن سمث فانه سافر من بريرة واكتشف الارض الواقعة بين بحيرة رودلف والنيل . ومنهم جروجان فانه اجناز القارة من مدينة الراس الى القاهرة فكانت سياحة هذه خاققة الاسفار الافريقية المشهورة التي تمت في القرن الماضي

### الاصقاع التجمدة الشمالية

كان لرواد الاصقاع التجمدة الشمالية في القرن الماضي ثلاث غايات يرعون اليها الاولى اكتشاف طريق شمالية غربية توصل الى الهند . والثانية اكتشاف طريق شمالية شرقية . والثالثة بلوغ القطب الشمالي . اما الغايتان الاولى والثانية فتمتا لم فان مكثور اكتشف طريقًا صعبه من بوغاز بيرين الى اوربا بين سنة ١٨٥٠ و ١٨٥٣ والبارون نورديسجولد العالم الاسويجي سار حذاء ساحل آسيا فوصل الاوقيانوس الباسيفيكي وكان ذلك حوالي سنة ١٨٨٠ . على ان اكتشاف تلك الطريقين لم يقُد الناس فائدة تذكر ولا يعد ان الطريق الثانية تقيد تجار الخشب والفرو وما اشبه من حاصلات البلدان الشمالية حتى تقدمت تجارة - يبيريا

بقيت الغاية الثالثة اى اكتشاف القطب الشمالي وهي وان لم يتم بعد الا انها كادت يتم على ايدي ابطال المكشفين مثل هول ولوكوود ونسن وامبروزي فان كلاً منهم تقدم نحو القطب عن سالفه حتى لم يبق بين القطب وآخر مرحلة بلغوها سوى ٣ درجات و ٢٧ دقيقة وكان قد سبق هؤلاء الاربعة نفر من الرجال فاكشفوا اماكن عديدة لم تكن قد اكتشفت

بعد شهرهم مكثري وبري وفرنكلين وروس . على ان أيقع اخبار تلك الاسفار ما لم بالسرى  
جون فرنكلن ورفاقه وكانوا ١٢٨ نفساً . وتحريراً الخبر انه ركب سفينتين هو وجماعته سيف شهر  
مايو سنة ١٨٤٥ ثم انقطع خبرهم واحي اترهم . وعرف فيما بعد ان الجمد سد المسالك على سفينتهم  
فمات فرنكلين في يونيو سنة ١٨٤٧ وكان عند جماعته حينئذ زاد يكفيهم سنة ومات ٢٤  
نفساً منهم ولما كان الجمد لا يزال يكتف السفينتين عقدوا النية ان لا ينتظروا ذوبانه بل  
يفتحوا لانفسهم طريقاً . ولم يعلم شيء عنهم بعد ذلك مع ان حملات كثيرة ارسلت برأويجراً  
للتفتيش عنهم في كل الجهات حتى اذا كانت سنة ١٨٥٤ التقى الرحالة راي بشاب من  
الاسكيمو فاخبره هذا ان قومه رأوا منذ اربع سنوات ٤٠ رجلاً ايض يجرؤون قارباً في مكان  
معلوم . ولم يمض على ذلك اشهر قليلة حتى عثر الرحالة المذكورة على ثلاثين جثة من جثتهم  
وفي سنة ١٨٥٠ أرسل مككور وكولسن لتفتيش عن سائر المفقودين من رجال الحملة  
من الغرب الى الشرق فلقى حملة قادمة من الشرق بقيادة السردورد بلشر ولم ير هو ولا غيره  
اثراً لفرنكلين ولا سمعوا بما جرى له مع انهم والرا البحث والتقيب تسع سنوات متتابعة . الا  
ان امرأة فرنكلين لم تياس فجهزت سنة ١٨٥٩ حملة سارت بقيادة مكنتوك فعثرت على هيكل  
انسان في بلاد الملك ولهم وتوصل هوبسون الى معرفة ما جرى للحملة من سنة ١٨٤٥ الى  
١٨٤٨ . وكانت نتيجة هذه الحملة معرفة مواقع الجزر الممتدة على الساحل الشمالي من اميركا الشمالية  
الاصقاع المتحدة الجنوبية

حول القطب الجنوبي بقعة لم تطأها قدم انسان بعد وهي ضعف اوزبا مساحة ولا يعلم ما  
اذا كانت ارضاً يابسة او بحيراً كبيراً  
وامم الذين قصدوا تلك الاصقاع للاكتشاف الكيبن سمث فانه اكتشف جزائر شتلاند  
الجنوبية سنة ١٨١٦ وتلاه كثيرون غيره واكتشفوا اراضي اخرى ابدها على عرض الدرجة  
الثامنة والستين وكان الذي بلغ هذا العرض السرجيس روس من مشاهير المكتشفين سيف  
الاصقاع الشمالية كما تقدم وذلك سنة ١٨٤٢ . ولم يتجاوز احد هذا الحد الا بورشجرانك  
سنة ١٨٩٩ فانه بلغ عرض ٧٨ و ٥٠ . وهذا اقصى ما وصل اليه انسان في تلك المجال  
الصحيفة حتى آخر القرن الماضي

### استراليا

استراليا قارة تساوي الولايات المتحدة الاميركية مساحة وعدد سكانها الانكليز الان  
سنة مئتين لا غير . وفي اواخر السنة الاخيرة من القرن الماضي اتحدوا والقوا حكومة مستقلة

استقلالاً ادارياً . وقد كانت استراليا في السنة الاولى من القرن الماضي بلاداً مجهولة تسكنها قبائل همجية منجحة في سلم المدنية وجماعة من الانكليز متفرقة على ساحل البلاد المعروفة اليوم باسم نيوسوث ويلس واما ساثرانام القارة فلم يكن يعرف عنها شيء .  
وفي اوائل القرن الماضي اكتشف الكبتن كنج مصاباً انهر استراليا وسواحلها الشمالية والغربية وما بينها . وقام بعده ستوارت فاكشف نيوسوث ويلس واوغل في القارة حتى بلغ اواسطها وعاد فجهد الكرة واجتازها من جهة الى جهة سنة ١٨٦٢ فكان اول ايض فعل ذلك وتلاه كثيرون فاكشفوا اماكن مجهولة حتى لم يبق من القارة سوى اماكن قليلة لم تكشف ومعظمها صغاري قاحلة

### اميركا الشمالية

اهم الاكتشافات الجغرافية التي جرت في القرن التاسع عشر كان في اميركا الشمالية وخصوصاً الولايات المتحدة الغربية . ومعظم الفضل في ذلك عائد على المستعم والمعلمين لاعلى الجغرافي ولا السائح المكتشف . وقد كانت البلاد الواقعة غربي نهر مسيسي والجبال الصخرية في جلتها مجهولة سنة ١٨٠١ . فكانت كتب الجغرافية المعروفة حينئذ تصف اميركا الشمالية بانها بلاد "معظمها سهولة متبوية قليلة الانحدار ليس فيها من الجبال الشامخة غير الجبال الواقعة نحو القطب والجبال التي تخترق الولايات المتحدة الشرقية وتسمى جبال اليانتي"  
الا ان كثيرين من الرواد والمكتشفين ساعدوا في اكتشاف بعض الاماكن المجهولة مثل وادي نهر مسوري والجبال الصخرية وكليفورنيا وغيرها . ومن اولئك الرواد فريمونت ولويس وككلارك وبك وبونفيل وبويل وغيرهم كثيرون

### اميركا الجنوبية

ليس بين القارات الستة قارة يجيها الناس الا ان مثلاً يجيهاون هذه القارة مع انها كانت منذ مئة سنة اشهر القارات واعرفها ما عدا اوربا . فان الجزويت اوغلوا فيها بطريق الانهر التي تخترقها من كل جانب حتى بلغوا قلبها ورسموا خرائط الاماكن التي مروا بها  
ومن اشهر مكتشفها هبلت المشهور فانه ساج في كثير من بلادها وكان اول من توسع في تفسير كلمة "جغرافية" فاطلقها على وصف اقليم البلدان وهوائها وتوزع الحيوان والنبات فيها وطبيعة تربتها ولم يقتصر على رسم الانهر والجبال وغيرها كما ترسم الخرائط عادة . وتلاه مكتشفون آخرون مثل سيكس ومارتيوس وشوميرج وكرينوفوا فاكشفوا كثيراً من الاماكن التي لم تكشف قبلاً فصارت اميركا الجنوبية على ما نراها الا ان

## اسيا

كان ماركو بولو الاوربي الوحيد الذي جاب جزءا كبيرا من اسيا قبل سنة ١٨٠٠ . وما استهل القرن التاسع عشر حتى أنها المكتشفون من كل ملة ونحلة ورسوا خارطتها فجاءت مضبوطة في مجملها . وأوفدت روسيا عدداً عديداً من الرجال للاكتشاف من الشمال الشرقي فقامت انكلترا تناظرها وارسلت رجالها من الجنوب . وربما كان اكتشاف مجاهل اسيا اصعب مراساً وأبعد منالاً من اكتشاف مجاهل افريقية او استراليا او اميركا الشمالية لان الاجتي سكان يلقى فيها مئات من ملاهين الشعوب والقبائل التي تختلف في طباعها واخلاقها عن متوحشي افريقية نتقف في سبيلها وتحول دون تقدمه . وفي سنة ١٨٢٩ دخل هملت اواسط اسيا وسواحل بحر قزوين . وعقبه المرسل الفرنسي هوك فعبر بلاد التبت سنة ١٨٤٤ — ١٨٤٥ وأقام عدة اشهر في لاساً عاصمتها . وساح بطراف في بلاد العرب حوالي سنة ١٨٦١ واجتازها من جهة الى جهة . ثم قام الساح جازنييه المشهور وساح في كبرديا والصين وقطع اكثر من ٥٠٠٠ ميل في بلاد لم يعرفها الغربيون قبلاً . وتلامم كثيرين غيرهم مثل سفن هدن ورشترفن وروكل فاكشفوا اقاليم كثيرة ومسحوها وبعثوا مواقعها في الخارطات فاصبحت اسيا وهي تكاد تعرف كلها

## الخلاصة

وناية القول ان تقدم الجغرافية في القرن التاسع عشر كشف خبايا كل زاوية من زوايا الارض امام اهالي اوربا واميركا . بل ان تقدم العلوم الجغرافية فيه اطاق النقب عن اصل الارض وكيفية تكوينها . فان علم الجيولوجيا الذي يبحث في طبيعة قشرة الارض وتكوينها يجبرنا عن الدور الجليدي ويدلنا بواسطة البقايا المتحجرة على ان الحياة ظهرت في الارض منذ الالف الملايين من السنين . ثم ان علم الظواهر الجوية الذي يبحث في احوال الهواء المحيط بالارض وعلم اعماق البحار انما هما نتيجة تقدم الجغرافية في القرن الماضي . وسيكون مدار بحث الانسان في هذا القرن على سبر غور البحار لحل اسرارها وهتك استارها

## الجواد العالم

كثر كلام الصحف في الشهر الماضي وما قبله على جواد في برلين يقال انه بينهم ما يخاطب به ويسأل بعض المسائل الحسية فيجب عنها بالدقة الثالثة . وقد كتب بعضهم رسالة من برلين الى مجلة للجلات الانكليزية في ٢١ سبتمبر الماضي قال فيها ما خلاصته

لقد اعطي هذا الجواد قوة التمييز . ويظهر هذا القول مدهشاً في بادية الرأي ولكن لجنة من اكبر النقات في علم الطب البيطري تألفت لتحقيق ما يدعيه صاحبه وهو رجل من سكان شمالي برلين اسمه فن اسمن عكف منذ اربع عشرة سنة على درس غرائز الحيوانات ورأى منذ اربع سنوات ان جواداً روسياً من خيله يميز كالعقلاء فجعل يعلمه ساعة كل يوم فبلغه بفوق التصديق . وهو اصلاً من معلمي المدارس فاستخدم في تعليمه الوسائل التي تستخدم في المدارس الابتدائية اي اللوح الاسود والطباشير والاشياء التي يعلم بها الصغار اسماء الالوان والروائح وما اشبه نعمته كيفية جمع الارقام الحسية وطرحها وقربها وقسمها وهو يعلمه الآن الحساب العشري والنسبة البسيطة

وقد اذن لي في فحص هذا الجواد مع اللجنة التي عينت لفحصه فزال من نفسي كل ما كان يخامرها من الرب لان اعماله اوضح من ان يكون فيها شيء من الخداع . وقد استعان صاحبه على تعليمه برجل اسمه شلتفس وهو من من التابعين في تديير الحيوانات فكان الجواد طوع امره في كل شيء . وهو الآن يقرأ الكلمات المكتوبة ويميز بين انواع النعود ويعرف الوقت في الساعة واذا رأى صررة فوتوغرافية ثم رأى صاحبها بين جماعة مبهمة عن غيره

ولا ينطق ولكنه يجيب بالاشارات فاذا اراد ان يقول نعم حنا رأسه واذا اراد ان يقول لا انفضه ويدل على الاعداد بضرب حافر يده اليمنى على الارض واذا اراد تأكيد شيء شرب ايضاً بجوافر يده اليسرى . مثال ذلك ان صاحبه سأله كم هو مجموع اثنين واثنين فضرب اربع ضربات بجوافر يده اليمنى فقال له صاحبه بل المجموع خمسة فاعاد الجواد بضرب اربع ضربات يده اليمنى وايدها باربع ضربات يده اليسرى

ثم طلب منه ان يقرأ كلمات كتبت له على لوح فقرأها او عرف ابن هي مثلاً كتبت اللجنة كلمات مختلفة وجعلت تلفظها له كلمة كلمة من غير ترتيب وكما تلفت كلمة دلها عليها . وعمل عملاً في الحساب العشري من غير غلط

ووضعت امامه سلة كبيرة فيها خرق مختلفة الالوان فجعل يبتار منها الخرق الملونة بالالوان

المطلوبة . وسئل كم واحد من الحضور بنظارات وكم منهم بغير بنظارات فاجاب من غير خطأ .  
وطُلب منه ان يشير الى سيدة على رأسها برنيطة خضراء فأشار اليها . وحاول بعض الضباط  
خداعه فراهُ ريبالاً وسأله كم الساعة فلم يتخضع . وطُلب منه ان يأخذ خرقة كبيرة  
وينظف مملنة بها فيعطي ما يجبه من الطعام فالتفت يفتش عن خرقة فوجدها في يد معلم  
فأخذها منه وباسه كأنه يشكره على ذلك ثم اسرع الى مملنه وجعل ينظفه بها وينفضها من  
النبار وعاد الى صاحبه يطالبه بما وعده به ووقف ينتظر احضار الطعام له بفارغ الصبر .

وقد اراد بعض الاميركيين مشتري هذا الجواد ودفعوا ثمنه سبعة الآف وخمسمائة جنيه  
فأبى صاحبه يعه لان ليس غرضه الكسب بل تحقيق الامور العلية . انتهى

وجاء في الجريدة المسماة عمل العالم ان هذا الجواد يميز بين المعادن المختلفة فاذا اري  
قطعا مختلفة من الذهب والفضة والشكل والخماس يميز بينها بالضرب بجافرو فانه يضرب ضربة  
واحدة للذهب وضرتين للفضة وثلاثا للشكل واربعاً للخماس . وأري ريبالاً قيمته خمسة ماركات  
وقيل له كم ريبال منها تساوي ذهباً قيمته عشرون ماركا فضرب يده اربع ضربات . ويدل  
على الحروف الهجائية باعداد تقابل وضعها في الايجدية فالحرف الاول عدده واحد وله ضربة  
والثاني عدده اثنان وله ضربتان وهلم جرا . واذا سألته عن الوقت وكانت الساعة ١١ ونصفا  
ضرب يده احدى عشرة ضربة وانتظر هنيهة ثم ضرب ثلاثين ضربة اي ثلاثين دقيقة .  
ويقال انه في قواه العقلية مثل ولد عمره ثلاث عشرة سنة

هذه خلاصة ما جاء في مجلة الجلات . وجاء في جريدة السينفك اميركان ما ينطبق على  
ذلك ولكنه مثله خال من التدقيق العلمي وبعضه في غاية الغرابة يتبع حتى من العقلاء  
الذين لم يزاووه مدة معرفته اوراق اللعب ورقة ورقة ونسبة بعضها الى بعض ومعرفته الدراهم  
الممسوحة من غير المسوحة وقيل فيها ان الدكتور هنروث مديرستان الحيوانات في برلين  
فحصه فحصاً مدققاً واتفق بصحة ما ينسب اليه وبان ليس في الامر شيء من الخداع

ولم تقف حتى الآن على تحليل هذه الافعال لعالم نثق به . واذا كانت خالية من كل  
خداع كما يقال امكن تحليلها بان صاحب الجواد او معلمه يتسلط على ارادته تسلط التنويم على  
التنويم فيأمره بالحركات التي يريد بها ولر عن غير قصد ويشير اليه بالرضى متى اتها . وقد يفعل  
ذلك عن غير قصد او لا يشعر انه فعله . ومعلوم ان الحيوانات الاليفة كالكلاب تنظر الى  
وجوه اصحابها وتفهم مرادهم من مجرد نظرها وتفهم ما يبدو فيها من امارات الاستحسان  
والاستهجان فلا يتعذر عاينها ان تفعل ما يفعل هذا الجواد

## كتاب روزبري عن نيوليون

(٤) مسألة المال

قال اللورد روزبري "انا اظننا الكلام في مسألة اللقب لانها اصل كل الشرور فنستقل منها الى المسألة المالية وهي لمن الحظ عرضية ولعلها كانت تابعة لمسألة اللقب كأن الوزارة الانكليزية قالت في نفسها انها ان ابقت لنيوليون لقب امبراطور اضطرت ان تنفق عليه نفقات طائلة ليقوم بمقتضيات ذلك اللقب ولكن كانت الحرب كثيرة النفقات فيجب ان يكون الاسير قليلا لاسيا انها كانت تنفق على السرحد من لوراثتي عشر الف جنيه في السنة فجعلت نفقات نيوليون وحاشيته وعدد هاواحد وخمسون تقاسماتية الآف جنيه في السنة وقالت ان احتاج الى اكثر فلينفق من جيبي. ولقد كان ينفق من جيبي لان نفقاته بلغت ١٨٠٠٠ او ١٩٠٠٠ جنيه في السنة هذا مع الانتصاد الشديد لنفلا كل شيء في تلك الجزيرة فان شئ الاشياء فيها كان اربعة اضعاف ما هو في غيرها. ولا رأى لوجلاء الاسمار جعل نفقات نيوليون مثل نفقاته اي ١٢٠٠٠ جنيه في السنة وهو في ذلك اكرم من رئيسه لورد برست وزير الحربية واستمرات لان لورد برست امره ان لا يدفع من نفقات نيوليون سوى ٨٠٠٠ جنيه في السنة. وبلغ نيوليون ذلك فقال ليفعل ما يشاء بشرط ان لا يكتفي في هذا الموضوع - لانه كان يخشى ان يصل الخبر الى اوربا فيعود بالعار على فرنسا. وكان يفعل هناك كما كان يفعل وهو على سرير الملك اي انه كان يستدعي وكيل الخرج اليوم ويطلع على حسابيه بالتدقيق ويقلل النفقات جهده ولكن لم يشأ ان يتذكر في هذا الموضوع مع سخائه

وزار نيوليون المائدة التي كان يأكل عليها اتباعه فرأى الطعام قليلا لايقدم بهم ولعلمهم فعلوا ذلك تصدا فامر وكيل الخرج ان يبيع ما عنده من الآنية الفضية فباع جانباً منها ولو نفسه حديد الثمن الذي بيعت بيده. وقدم الطعام الى نيوليون في صحاف من الخرف فاعتراه الخجل وعاف الاكل الا ان وكيل الخرج كان قد خالف امر مولاه ولم يبع كل الصحاف بل اتى جانباً منها فاتاه بالطعام فيها في اليوم التالي فسر بذلك واكمل على جاري عادته ويقال انه لما بيعت آنية نيوليون اوجس لو شراً وندم على ما فعل لانه خاف من ملامة الناس له"

قال لورد روزبري "ان كل ما حدث كان من قبيل المغايظة فان نيوليون لم يكن مضطراً ان يبيع اناه واحد لانه كان له اموال طائلة في باريس وفي جزيرة القديسة هيلانة نفسها

ومع ذلك لا نلوم على ما فعل لأنه حارب خصومه بإسلاحهم على اسلوب نتيجة فيه الانظار اليه فان يعضه لا يتد الفضية لابد من ان يشيع في الجزيرة كلها وتنقل اخباره الى اوربا فيشدد الناس التكبر على الحكومة الانكليزية وقد نجح في ذلك . وحدث بعد هذا ان قلّ الوقود عنده فامر خادمه ان يكسر سريره ويوقده وشاع الظهر في الجزيرة حالاً فأسقط في يد لوجيار يجنب مغاضبة نيوليون

” وكان نيوليون واسع الخيلة يلجأ الى هذه الطوائف حينما تدعو الحال اليها مثل غيره من عظام الرجال فكانت مثلاً يسر بكتابة مكاتيبه من قصور الملوك الذين غلبهم . ويدرس تواريخ بعض قواده ثم يقابلهم وهم في اماكنهم في الجيش ويسميهم باسمائهم ويذكرهم بما فعلوا فيتهجون بذلك . وكان في حروبه يشيع ان الدائرة دارت عليه حتى اذا بلغت الاشاعة وزراه وتولاهم القتوط فاجأهم باخبار النصر مفاجأة . ولما كانت في موسكو يحيط به النار والجوع ويتهدهد البرد والصقيع بعث الى فرنسا كتابة مسهبة عن اصلاح التياترو الفرنسي لكي يتنع رجاله انه غير مبال بما هو فيه ويتنع فرنسا انه يدبر امور المملكة صغيرها وكبيرها وهو في حومة الوغى “

وذكر لورد روزبيري حديثاً لنيوليون مع الدكتور اوميرا الانكليزي ورجح صحته وهو قول نيوليون له ” ان وزراءكم ارادوا ان ينسى الناس اسمي فاذكروهم به يخلصهم المتن وسوء تصرفهم ولو عقوا لباحوالي ولرجالي ان تنفق قدر ما نشاء فاسكتونا واسكتوا الناس اجمع ولم تزد نفقاتنا على ١٦٠٠٠ او ١٧٠٠٠ جنيه في السنة .“ وطلب بعض الكتب التاريخية فارسلها الحكومة الانكليزية اليه وحاسبتها بثمنها فلم يشأ ان يدفعه ثم لما توفي استردتها وباعتها بثمان مئتين ولو ابقتها لرجحت منها ربحاً وافراً لان عليها كثيراً من الحواشي بخطه

(٥) تسليمه واسره

قال نيوليون وهو في معركة استرلتز الشهيرة ” ان الانسان لا يستطيع الحرب الا سنين قليلة فانا لا استطيعها الا ست سنوات اخرى ثم اضطر ان اتخى عنها .“ ومن الغريب ان الايام حقت صدق هذا القول فبعد واقعة استرلتز بست سنوات وشهر واحد اعلن الحرب على الروس فأب بالفشل واخذ نجح سمدوم في الاقول من ذلك الحين حتى ظن اعوانه انه اعتراه مرض اضعف منه وثبط عزيمته . ومن المضحق انه اخذ يسمن وصار يكثر من الاكل والنوم . والظاهر ان السرطان الذي اماتته وامات اباه من قبله شرع ينمو في معدته فيهبجها لطلب الطعام فزاد اكله وزاد سمنه فقل ورود الدم الى دماغه وتوليد الافكار فيه . وهذا

امر عادي يصيب كل من كان عصياً نحيفاً . ثم سمن وترهل وزاد سنه وهو في جزيرة البيا لأنه انتقطع فيها عن الاشغال الشاقة وعكف على الملاذ فالتخذ سنه دليلاً على انكفاء مطامعه وضرب على بطنه يديه في قصر التويلري وقال للذين حولاه هل يبقى في الانسان مطامع بعد ان يصير سميكاً مثلي . وثبت لاعوانه ان همته قوت وعضب دماغه كل عن المضاء فصاروا يتناجون في ذلك واصبحوا يجاهرون به . وجعل وزراؤه يدخلون عليه فيبدونه نائماً والكتاب في يده بعد ان كان بيت الاليالي ساهراً وهو على صهوة جواده . وصار يكثر من الكلام وبقيض في الحديث كلما مل من الشغل العقلي كأنه يجد في الكلام راحة وفكاهة . وبلغ من ضعف عزيمته انه وهو في جزيرة البيا انتبه الى خيانة وزيره فوشه ولام نفسه لأنه لم يقتله لكنه ابى عليه لما عاد الى باريس ولم يثله بمكره . وفوشه هذا هو الذي خدعه وخائنه وسله للانكليز . وكان نبوليون يعلم ذلك ولكنه ابقاه رئيساً لليوليس ولم يجسر على الافتصاص منه ولما استقل متاعب الملك ودسائس الاعوان وضاق بها ذرعاً خرج بجندوه للقتال لعله يشقى من مرض الحمول مستشفياً من داء بداه ولكنه فعل فعل المقامر الذي تنكرر خسارته وتضيق به الدنيا فيناظر بكل ما يملك دفعة واحدة عساه ان يترد ما خسره او يبلغ حد الافلاس . ولم يبلغ ميدان القتال حتى خارت قواه فلم يعد يعبأ بالبحث عن مواقع الاعداء ولا يهتم بسرعة الهجوم عليهم مع انه فاز في حروبه السابقة لاهتمامه بهذين الامرين . ولم تدر رمى الحرب حتى قال يظهر انهم اشتبكوا (Il paraît qu'ils sont mêlés) وادار راس جواده وخرج من ساحة الوغى وهرب الى باريس لا يلوي على احد فرصل قصر الاليزه الساعة السادسة صباحاً (في الحادي والعشرين من شهر يونيو) وقال "ان الجيش فعل فعال الابطال ولكن تولاه الاضطراب . وبلغ الجنون من فاي انه فادي بالفرسان . تم ارقى في حمام من الماء السخن واستدعى وزراؤه .

ورآه لا قالت ذلك الصباح ووصف كيف قابله قائلاً خالماً رأني بادر اليه وهو يضحك كالجنانين ويقول يا الهي يا الهي ويرفع عينيه الى السماء ويمشي حول جدران الفرقة ثم لم تلبث هذه التوبة ان فارقت نئاب اليه رشده وسألني عما هو جار في مجلس النواب . وكان يجب عليه ان يادر الى المجلس قبلما يخلع ثيابه ويسجره ييلاغة خطابيه ويأمر بقتل فوشه لأنه سب هذه البلية ولكنه لم يفعل ذلك بل عقد مجلسة اخاص وفوشه يحرض حزب المعارضين على مقاومته واعوانه وذوو قرياه يتوسلون اليه ليبيدي شيئاً من حزمه السابق وهو صامت لا يتكلم . وجعل المعارضون واخلائون والمتآمرون يلون شملهم ويجاهرون بمقاومته وهو جالس لا يدي

ولا يعيد وقد فرغت حيلته وفارقت عزمته . مركبته واقفة على الباب لتسير به الى مجلس  
النواب وهو جالس في مكانه لا يتحرك . واخيراً قدمت اليه ورقة التنازل عن الملك فامضاهما  
بيده وهو كأنه في بحران . فعل ذلك والجنود خارج القصر والشعب كله يتناديه لكي لا يتركه  
وهو لو قال كلمة واحدة لاستراح من خصوصه كلهم في ساعة من الزمان او لأحدث في البلاد  
ثورة كالثورة المشهورة ولكنه لم يقل كلمة ولا فعل شيئاً بل ارسل مركبته بين الجموع فارغة  
وخرج في مركبة اخرى الى قصر الممازون Malmaison وجلس هناك يقرأ الروايات غير مهمته  
بالدفاع ولا بالحرب . واخيراً عرض خدمته على الحكومة الموقرة كجنرال فرفضت طلبه وامرته  
بالخروج من البلاد فاطاع وخرج في ربيع ساعة ووصل الى روشفور واقام فيها وهو لا يزال في  
بحرانه لا يبي على شيء . وعرض عليه اخوه يوسف ان يهرب الى اميركا في سفينة اميركية  
كانت هناك وكان ذلك ميسوراً له فلم يفعل . وعرض عليه الحرب في سفينة هولندية فلم  
يقبل وكان هناك بارجتان فرنسيتان فعرضتا عليه ان يهرب في واحدة منهما وتبقى الاخرى  
تشغل السفينة الانكليزية عنها لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك بل سلم نفسه للانكليز وجلس  
على ظهر سفينتهم يقرأ في اوسيان Ossian وسارت به السفينة وهو في بحرانه الى ان  
قابلت اوسنت فخرج من غرفته ونظارة في يده ووقف ينظر الى سواحل فرنسا من الساعة  
السابعة صباحاً الى الظهر اي الى ان غابت تلك السواحل عن نظره فعاد الى غرفته مشككاً على  
ذراع برتران وهو شاحب الوجه صامت لا يتكلم وعاودته نوبات الخمول كل مدة اقامته في  
جزيرة القديسة هيلانة فكان يقم ساعات متوالية في فراشه او في حمامه ولم يعد يلبس ثياب  
النهار الا بعد الظهر . ومع ذلك كانت الوزارة الانكليزية ونائبها السرهضن لو في قلق دائم  
لثلاث يهرب من تلك الجزيرة ويقم الدنيا عليها

وقد اختار الانكليز هذه الجزيرة لانها ابعد الجزائر عن اوربا واقفروا وحصنوها حتى صارت  
امنع من عقاب الجوزيل السرهضن لوزيد في تحصيلها ووضع المدافع فيها الى وفاة نيوليون  
مع انه قال للوزير كاسلراي قبل مغادرته لندن انه لا يرى سبيلاً لحرب نيوليون من تلك  
الجزيرة الا بخيانة حاميتها

والجزيرة صخر كبير مستدير في وسطه سهل بنيت فيه مدينة اسمها لنغود يكتنفه خندق عميق  
يقصه عما حوله ولا يوصل اليه الا من طريق ضيق عرضه اقل من عشرين قدماً وهو شديد  
التخدر حتى اذا دخل الجزيرة عشرة آلاف جندي فخمسون جندياً يكفون لهم من الوصول  
الى مدينة لنغود ولا يوصل اليها الا به . وهناك آلاي من الجيش وفرقة من المدفعية .

والحراس يحيطون بالمدينة من كل ناحية ويزيد عددهم ليلاً حتى يصيروا حلقة متصلة حول المدينة وهناك سفينتان حريتان تطوفان حول الجزيرة نهاراً وليلاً وبارجتان في المرفأين اللذين يمكن ان ينزل منهما الى السفن والحراس على كل قفة من قعها يرون كل سفينة آتية اليها عن بعد ستين ميلاً وكلما رأوا سفينة اطلقوا مدفعاً فانتبه الحراس والجنود والسفن الحربية . ولم يكن يسمح لسفينة اجنبية ان تدنو من تلك الجزيرة مهما كانت ولا لسفينة انكليزية الا اذا كانت من السفن الحربية او سفينة مخصوصة آتية بالمؤونة والميرة للحراس . ومهما كان نوعها لا يسمح لها ان تتحارب احداً في الجزيرة لاي سبب كان

ومع هذا الاحتراس والنضيق لم يكن يسمح لنيوليون ان يخطو خطوة في الجزيرة الا ووراءه حارس انكليزي . واتفق مرة انه خرج راكباً وخرج معه برتران وغورغو فتبعهم هذا الحارس وكان اسمه بوبلتون وطلب اليه برتران ان لا يدنو منهم كثيراً فإني وفيما هو بكلمة عدا نيوليون بجواده وتبعه غورغو ولم يكن بوبلتون يحسن الركوب فلم يستطع ان يدركهما فاسرع الى الاميرال ككبرن امير البوارج الانكليزية الحارسة الجزيرة وشكا اليه امره فتضحك الاميرال منه ثم قال له انك مغمثن البال ان يوارجني تكتنف الجزيرة حتى لو اراد الشيطان ان يخرج منها لتعذر عليه ذلك

ثم لما مرض نيوليون ولم يعد يخرج من غرفته كثرت هواجس لو ووساوسة وخيل له ان نيوليون هرب من لنغوود وتسلق الصنجور ولا يعد ان تقابله سفينة غواصة تسير تحت الماء فيهرب فيها فكتب اليه في ٢٩ اغسطس سنة ١٨١٩ يقول له لا بد من ان يراك ضابط من الحراس كل يوم . وقد أمر هذا الضابط ان يدوس كل الموانع التي تمنع ذلك وانه اذا عارضه احد من حاشية نيوليون في اتمام مأموريته اخرج ذلك المعارض من الجزيرة حالاً وصاد مسأولاً عن كل ما ينتج من فعله . وانه اذا لم يرد ذلك الضابط نيوليون كل يوم حتى الساعة العاشرة صباحاً حتى له ان يدخل البيت الذي فيه نيوليون والغرفة التي هو فيها عنوة . فاجابه نيوليون انه يفضل الموت على هذه الاهانة اي انه يقتل الضابط المشار اليه حالما يراه وكان ذلك في ٢٩ اغسطس . وفي ٤ سبتمبر اضطر لو ان يمدل عن عزمه ويسترد امره . وذاق الضابط الامرين في مراقبة نيوليون فكان يوصوص من صائر الباب او من ثقب مفتاحه او من الكوة فيرى برنيطة نيوليون فيحكم انها على رأسه او يراه جالساً في حمامه . وراه نيوليون مرة وهو يرقبه كذلك ففتح الباب بنته وخرج اليه عارياً وفي يومية هذا الرجل من المضحكات ما يعجز نظيره . كتب مرة انه بقي ذات يوم اثنتي

عشرة ساعة واقفاً على قدميه قبلما استطاع ان يرى نبوليون . وكسب في يوم آخرائه بقي واقفاً  
عشر ساعات على قصب رجليه عرضةً لتهكم الخدم ولم ير نبوليون  
الى هذا الحد بلغت الحماسة من الوالي حتى جعل ضباطه عرضةً للهزء والسخرية في قضاء  
امر لا داعي له . ومن رأي المررد روزبري انه لم يكن خوف من ان احداً يحاول انقاذ  
نبوليون لكن الاشاعات كانت كثيرة حينئذٍ عن عزم اناس على بناء سفينة تسير تحت الماء  
وتصل الى الجزيرة وتنقذ نبوليون منها وكان الوالي يضاعف الحرس كلما بلغت اشاعة من هذه  
الاشاعات بل كانت الوزارة الانكليزية نفسها تعلق قلقاً شديداً لاشاعات مثل هذه وظلت  
في قلق الى ان ادركت نبوليون الوفاة . ويقال عن ثقة ان ريان احدى السفن عرض ان  
ينقذ نبوليون في قارب خلصة ويوصله الى اميركا لكن نبوليون رفض ذلك رفضاً باتاً . وعرضت  
عليه اساليب اخرى للنجاة فنظر اليها نظر الازدراء . نعم انه كان يود ان ينقذ من الاسر ولكنه  
كان يريد ان يحدث ذلك جهاراً بواسطة شريفة يامن بها على حياتهِ بعد انقادم . واما لو  
هرب هرباً لتعقبه خصومه اين ذهب واوقموا به . والظاهر من قول منتلون ان نبوليون  
كان يعتقد بالقضاء والقدر ويقول ان كل شيء في كتاب مسطور وانه لا يموت الا حيث  
قدر له . كأنه يردد قول الشاعر

ومن كانت منيته بارضِ فليس يموت في ارض سواها

وقال اخيراً لاتباعه بعد ان عرضوا عليه اساليب مختلفة للنجاة " خير لي ان اموت هنا  
شهيداً فان ذلك قد يعيد الملك الى ابني اذا بقي حياً " . وقال مرةً ان فيه بارقة امل بالنجاة  
اذا قوي حزب المعارضين في البرلنت الانكليزي وتبرأت الاميرة تشارلوط اربكة الملك .  
وقد حسب ان هذه الاميرة تميل اليه لانها تزوجت بالامير ليوبولد الذي ود مرةً ان يكون  
ياوراً له .

ولم يكن قليل الاماني بل كثيراً ما كان يهجس بالخيال قيل انه امر قواد جيشه وهو في  
حرب الروس ان يقدروا بعض القبالي وهو يعلم انها فئت ولما قالوا له في ذلك قال لهم لماذا  
لا تدعونني اسراً باحلامي . ولما هاجت جنود الاحلاف فرانساً قال للمارشال مكدونلد اني اعتمد على  
قيلتك فقال له المارشال ألا تريد ان استعرض هذا الفيلق فلا بأخذك استعراضاً دقيقة لانه  
مؤلف متي ومن ياور واحد وكل ما عندنا اربعة كراسي قش وطاولة خشب ايض . وفي معركة  
سنة ١٨١٤ كان يقول لمارمون اذهب برجالك العشرة الآلاف فقال له مارمون انهم الآن  
ثلاثة آلاف فقط فلم يلفظ اليه بل ظل يقول انهم عشرة آلاف . ومع كل ذلك كان له

مهابة عظيمة في قلوب كل من في جزيرة القديسة هيلانة . قال المندوب الروسي " ان لهذا الرجل الخلق المأسور المكتشف بالحراس والحذاظ من السلطة على كل الذين يدنون منه ما يجب ويدهش فان كل ما في هذه الجزيرة بدل على تفوق نيوليون وعظمتهم . الفرسويون يرتجفون من رؤيته ويحسبون خدمته منتهى السعادة . والانكليز لا يدنون منه الا والرهبة تشملهم حتى حراسه يمتنون ان ينظر اليهم نظرة او يكلمهم كلمة وما من احد يستطيع ان يلتفت اليه الثقات النظير الى نظيره " . وزد على ذلك انه كان يدخل اكواخ الاهالي ويجلس معهم ويكلم الخدم والبيد وينفخهم بالهدايا ولما رأى الرائي ذلك ضيق عليه النطاق لثلاً لتعلق قلوب السكان به فيعصوا اوامر الحكومة

## الزهد في الحياة

في طبع نعمة قد تبقت      حملاً . أبيض كالثلج التقي  
 رأته وسقته لنا      فتقوى نائياً بما سقي  
 شارفته وعليه انعطفت      حفظته كسواد الحدق  
 عند ما أصبح شهراً عمره      وعن المريض لم يفترق  
 جاءه الراعي ومعه مديبة      وبها ينوي احتزاز السقي  
 فدعاه مستغيثاً خائفاً      عند ما القاه فوق الطبي (١)  
 قائلاً مولاي رفقا اني      في حياتي لذة لم أذق  
 ما رعيت المشب بل ما زلت من      خزع أمي من لبان استي  
 ما برحت السجن يوماً واحداً      ومع القطعان لم انطلق  
 أعف عني سنة احيا بها      مطمئناً في مراح مطلق  
 لا يخاف الموت مني وانا      كل يوم عالق بالوهق (٢)  
 فاتق الرحمان في حقي او      فاضع الرحمة ان لم نتق

رفق الراعي به وانطقت جرة في طرفه للغرور

(١) الطبي سطح الارض او ماعون مقرر من الخشب مثل الذي يضعه الجزائر تحت السقي ليصنع فيه الدم  
 (٢) الوهق سبل في طرفه انشروطة بطرح على عتق الدابة لتروخذ به

قال فاذهب واربع كيف تشاء  
فبقي يرح عاماً كاملاً  
شارباً من كل وردٍ سائغٍ  
غادياً عند تباشير الضحى  
لاجئاً في الحرِّ للاغلال او  
يلحق الراعي ويدري انه  
واذكر الحمد لقلبي المشفق  
يتشبي في البرِّ ریح الحبق  
اكلاً من كل نبتٍ مورقٍ  
رائحاً عند دنو الفسق  
عائداً من مطرٍ في نفق  
ظمة السرحان ان لم يلحق

بعد ان مرّت عليه سنة  
قال ماضي العمر قد ادركته  
هل أواني العيش كالماضي ترى  
هكذا في سفب<sup>(٢)</sup> ولب<sup>(٣)</sup>  
ابداً في عطشٍ لا تشرب الا  
ان تغادر فرقاً حاق بنا  
تارةً نهبط للقيعان في  
في شتاءٍ بردهُ أرهقتنا  
لا نرى في قبة الجوّ سوى  
كأن اخوان لنا لم ننسهم  
اقبل الصيف فقلنا انفرجت  
ناب عن ميل شأيب<sup>(٦)</sup> الشتا  
وعطينا فوق ما نحن به  
فاذا صادف منا غرة  
فكان العمر بحرّ مزبداً  
ابداً في خطيرٍ يرصدني  
تصد الراعي بقلبي فقلبي  
جئت كي تخبرني عما بقي  
جزع في نكدٍ في رهق<sup>(١)</sup>  
هكذا في نصبٍ او حرق  
ساء الأ مفعماً بالرتق<sup>(٤)</sup>  
لم تغادره لغير الفرق  
طلب القوت وطوراً نزلني  
ما يد الأ انصباب المندق<sup>(٥)</sup>  
غضب من مرعدٍ او مبرق  
جزفوا بالعارض المندفق  
فالتقنا بالمجير المحرق  
من جلود الحى سيل العرق  
يرصد الذئب شعاب الطوق  
جاءنا يشب ناب الملق  
وكأني فوفه في زورق  
ابداً في حذرٍ من غرق

(١) الرهق الاسم من الارماق وهو حمل الانسان على ما لا يطيقه (٢) السب هو المجموع مع التعب

(٣) اللب هو التعب الشديد والاعباء المنك (٤) الرتق هو كدر الماء (٥) المندق هو الماء

الكبير (٦) واحداً شؤوب وهو الدفعة من المطر

نكبات<sup>١</sup> قوّضت جسمي ولم  
طالب عيشي المرء في داجية  
هل لهذا الليل صبح<sup>٢</sup> يرتقى  
هل انا وحدي شقي<sup>٣</sup> يا ترى  
هل ارجي سيفه حياتي زمناً  
ام بواقى العمر مثل المتقضي  
تبقى من روحي غير الرقى  
وانا ارقب<sup>٤</sup> وجه الفلق  
فرج<sup>٥</sup> من ضوئهِ المنبتق  
في ربي الارض ام الكل<sup>٦</sup> شقي  
خالصاً من حذر<sup>٧</sup> او قلق  
ومواخيه<sup>٨</sup> هوادي الملحق

اتبل الراعي عليه قائلاً  
فاذا عشت<sup>٩</sup> قروناً عدة  
راحت الدنيا على طلابها  
قبلك الكل<sup>١٠</sup> على سطح الثرى  
دفعوا ناب<sup>١١</sup> البلايا عنهم  
صرعتهم<sup>١٢</sup> نوب<sup>١٣</sup> ارواحهم  
كل حي<sup>١٤</sup> في الثرى مها يطل  
ان تجاهد<sup>١٥</sup> زمناً سوف يمضي  
انما الايام مثل الخلق  
لست تلقى غير هذا النسق  
وجدوها كالعقوق<sup>١٦</sup> الابلق<sup>(١)</sup>  
طلبوا السعد بسعي<sup>١٧</sup> متحقق  
زمناً<sup>١٨</sup> دفع<sup>١٩</sup> ضعيف<sup>٢٠</sup> متي  
مها<sup>٢١</sup> نعمر<sup>٢٢</sup> تزهق<sup>٢٣</sup>  
عمره<sup>٢٤</sup> يات<sup>٢٥</sup> لهذا المازق<sup>(٢)</sup>  
زمن<sup>٢٦</sup> مها<sup>٢٧</sup> تجاهد<sup>٢٨</sup> تفرق<sup>٢٩</sup>

فاجاب الحل<sup>٣٠</sup> النادم<sup>٣١</sup> يا  
ليت<sup>٣٢</sup> اني صرت<sup>٣٣</sup> نيكاً مغفلاً  
نخذ<sup>٣٤</sup> الكيف<sup>٣٥</sup> واذبحني ولا  
اخترت<sup>٣٦</sup> احتزاز<sup>٣٧</sup> العنق  
ليت<sup>٣٨</sup> اني صرت<sup>٣٩</sup> نيكاً مغفلاً  
تبقى<sup>٤٠</sup> رهن<sup>٤١</sup> البلاء<sup>٤٢</sup> المحقق

فارس الخوري

دمشق الشام

(١) الابلق العقوق أي الذكر الحامل وهو عبارة عما يستحيل وجوده

(٢) المازق هو المضيق

## عجائب الحرب

قيل ان رجلاً من اهالي اميركا طلب من رجل من هنودها ان يارزه فكان اختيار السلاح من حق الهندي فاختر برميلاً من البارود يحلسان عليه كلاهما ويشعل باروده بهما . وهذا شأن التجارين في هذا الزمان فانهم كالجملوس على برميل من البارود يشعل ما فيه فيسفهم كلهم نسفاً

وكان المظنون ان دول الارض تفقه الى ذلك فلا تعود لتقاضي الي السيف والمدفع والبنم والطريد بل تقيم بينها المحكمين المنصفين كما يفعل جمهور الناس عامتهم وخاصتهم بل كما يفعل غرب البادية وتوحشو افريقية في غالب الاحيان . ولكن وراء هذه الهيوش الجيشة القائد والملك والصانع وصاحب الاموال وكل منهم ينهي على ليلاه ولا يبعأ بحياة سواه . الاول يسعى الى الامتياز على اقرانه وترقيع رتبته ومقامه وتحمليه صدره بالنياشين والثاني يحاول اشغال قومه بالحروب والنزوح عن طلب الحكومة الدستورية والشاركة في السيادة والثالث يصنع البنادق والمدافع واللقوم والطرايد والبوارج والطرادات ولا تزوج سوقها ولا تتوفر مكاسبها الا اذا نشبت الحروب واقتضت استعمال الكثير منها . وصاحب الاموال يدين الدول في اوقات الضيق ويتقاضي منها الربا الفاحش ويعيش متنعماً به هو واولاده من بعده . كذا فعل يت روشيلد وغيره من البيوتات الكبيرة في اوربا واميركا وكذا تراكت الديون الفاحشة على انكلترا وفرنسا واطاليا وقام الوف من الاغنياء يتنعمون بعيني الملايين من الرعايا المساكين وجمهور الناس اغنام ترعام ذئاب

ويتعزى الكتاب احياناً كما تعزى نحن بان قتلى الحروب الحديثة اقل من قتلى الحروب القديمة . وهذا صحيح على اطلاقه ولكن لماذا لا تبطل الحروب مطلقاً وهي خالية من كل نفع لئوع الانسان وليس فيها الا الضرر والضم والالم والشقاء ولا يستفيد منها الا اناس يعدون على الاصابع يضرمون نارها ويدكون اوارها مالل يكسبونه او يغر ينالونه واكبر المخترعين يتنافسون في استنباط آلات الهلاك ويسخرون لها اجمل ما اكتشفه عقل الانسان من حقائق العلوم الطبيعية والرياضية

من كان سنة بين الاربعين والخمسين من قراء هذه السطور يتذكر البندقية ذات الزناد تحشي من فها بالبارود والرصاص . والمدفع المسبوك من الحديد او النحاس يحشي يارود اسود يعمي دخانه الابصار وقنابل صغيرة مستديرة لا تُقَدَف بالبارود الا الى امد قريب . والبارجة

ذات الشراع تمثت بها الرياح وتخربها القنابل فجاء العلم الطبيعي والرياضي وغير كل ذلك . صارت البنادق تحشى من خزنتها برصاصات كثيرة دفعة واحدة ويوضع معها بارود لا دخان له أو يركب في خزنتها آلة دوارة تلقمها الرصاص بأسرع من لمح البصر فتطلق الف رصاصة في الدقيقة . والمدافع الرشاشة ينصب منها الرصاص كالمطر الهطال . وصارت البوارج تدفع بدروع من الحديد الصلب يبلغ سمكها قدمين أو أكثر . وتبارى صانعو الدروع وصانعو المدافع والقنابل واستخدم الفريقان العلم الطبيعي والرياضي أولئك يصلبون الحديد ويقسونه حتى لا يندشأ المبرد ولا يخرق شي وهو لآلة يكبرون القنابل وبدققون زوومها ويطولون المدافع ويشحنون جوفها حتى تصير القنابل تقع على الفرض بقوة تزحزح الجبال وتخرق ولو كان اشد المعادن صلابة . فبلغت الدروع حد ما تجعله السفن من حيث ثقلها ولا تزال تزيد صلابة بجوالي الاكتشافات العلمية ولا تزال القنابل تزيد ثقلاً وقوة بتكبير المدافع وتطويلها والتقان عمل البارود

وقد استنبت المستر هـ صـن مكسيم باروداً جديداً تحشى به القنابل فلا تنفجر متى أصابت درج البارجة الكبيرة كما تنفجر القنابل عادة بل بعد ان تجرقة وتدخل البارجة ومثي انفجرت تمزقت الوفاً من القطع وانتشرت قطعها في السنية كرصاصة البنادق وقتلت كل من نصيبة فهي القضاء المبرم على البوارج لانها تخرق دروعها وتنفجر فيها انفجاراً

وقد استخدم رجال الحرب التلغراف الذي له سلك والذي لا سلك له ولم يعودوا ينصبون له الاعمدة كما كانوا يفعلون قبلاً بل صاروا يلقون اسلاكه على الارض فتبقى اتسام الجيش متصلة بعضها ببعض مما تفرقت وتباعدت فهو آذان القواد والجنود يسمعون بعضهم بعضاً به مما شغمت الابداع بينهم

واستخدموا النور الكهربائي فهو عينهم يرون بها ابعد الاشباح في الليل الدامس كما يسمعون بالتلغراف اخفت الاصوات في البعد الشاسع . تلي البارجة اشعة نورها الكهربائي حولها على اميال كثيرة وتنتش به عن نوافات العدو فترى نفاة مسرعة اليها تقطع لجج الخير بسرعة دونها سرعة السوايق وبين يديها طريقه في الموت الزؤام اذا وصلت اليها ورشقها به اوردها حنفها في لحظة من الزمان . ومثات من الرجال وبدرات من الاموال وثمار العلم والصناعة تفوق في لجج اليم الى يوم يحشرون . لكن النور الكهربائي بكشف النفاة قيل ان تدنو من عرضها وللحال تصوب اليها المدافع وترشقها بمثات من القنابل دفعة واحدة والنور الكهربائي مشرق عليها حتى لا تخفي عن الانظار الا حين تصيبها قنبلة وتدفعها في قلب البحار

وقد يقال كيف تصوّب المدافع نحو الغرض في لحظة من الزمان وهي كبيرة ثقيلة كالجبان  
الروائح ثقل بعضها خمسون طناً أو ستون والجواب ان الكهرباء ربة العجائب قد استُخدمت  
لتسديد المدافع فتديرها كيف شاء المدير باسرع من لمح البصر وهي التي تضع القنابل فيها  
وتطلقها منها بما لا مزيد عليه من السرعة والاحكام  
وكان الطريد يسير في الماء بقوة ما فيه من الهواء المضغط فتكون سرعته نحو نصف ميل  
في الدقيقة ثم ثقل وبطؤ سيره فيخشى ان السفينة التي اطلقته تلتقي به في سيرها فينفجر تحتها  
ويغرقها. وقد استنبط المستر هـ صـن مكسيم مادة اطلق عليها اسم موتوريت يضعها في الطريد  
بدل الهواء المضغط فتكون سرعته اشد مما لو سار بالهواء ويسير بها الى ابعد مما يسير بالهواء.  
واستنبط ايضاً قوارب طريد تسير بهذه المادة فتكون سرعتها فائقة جداً وتغرض تحت الماء  
فاذا سلح القارب منها بالطرايد لم تنج منه بارجة مها كان حجمها ومها كانت سرعتها  
هذه بعض عجائب الحروب الحديثة وكلها او اكثرها يستخدم الآن في الحرب الناشبة بين  
الروس واليابان. ثمار العلوم ونتائج العقول يقيد مئات الالوف باستخدامها ليقتل بها بعضهم  
بعضاً خدمة لفر قليل من الملوك والقواد وارباب المال والاعمال

## حياة الجماد

### الباب الثالث

#### ترتيب الاجسام الحية وغير الحية وتركيبها الكيماوي

اول ما نسأله هنا ما هي صفات الجسم الحي الحقيقي التام . وما هي خواصه الاساسية .  
وهذه الصفات والخواص هي تركيب كياوي معلوم وبناء وشكل خصوصيان وارثا له مدة  
محدودة وآخرة هي الموت وقدرة الجسم على النمو او الاغذاء وعلى اخلاف النسل  
وهنا سوء الاخران وهما اية خاصة من هذه الخواص هي الادم في حدة الحياة وتعريفها .  
واذا فقد الجسم الحي بعضها أفيكفي ذلك لتحويله الى جسم غير حي . وللجواب عن ذلك نقول  
ان كل ما نعرفه عن تركيب المادة الحية وترتيبها متبجح في قانوني الوحدة الكيماوية التي  
للاجسام الحية . الاول ان الحياة انما تظهر في المادة الحية (بروتوبلازم) وبواسطتها . والثاني  
ان الحياة تحفظ في بروتوبلازم له اعضاء الخلية التامة . ولو كان هذان القانونان مطلقين وصح

ان الحياة لا توجد الا في البروتوبلازم وبواسطته وفي الخلية وبواسطتها لحكما ان الحياة مقصورة على المملكة الآلية ولكن ألا يمكن ان تظهر آثار الحياة في احوال وشروط اخرى اي في مادة ليست بروتوبلازما وفي جسم له تركيب يختلف عن تركيب الخلية وبعبارة اخرى في كائن ليس حيوانا ولا نباتا . وهذا ما نريد ان نشته بالامتحان

ظهر من تجارب كثيرين من العلماء انه لا بدء للحياة من وجود الجسم الخلوي ونواته اي لا بدء من ان تكون الخلية تامة التركيب صحيحة لتكون حية . ولكن ظهر ايضا من تلك التجارب انه اذا فقدت الخلية صحتها لم يعقب ذلك الموت حالاً بل ان بعض الوظائف الحيوية يبقى جارياً مجراه في بروتوبلازم فقد تواتره وفي خلية معنلة وغير تامة . ثم انه اذا طمخت الخلايا ومحقت توقفت معظم وظائفها عن العمل ولكن ظهر بالتجارب التي عملت في بعض نبات الخمير ان البروتوبلازم لا يموت ولو طحن واخملت وظائفه الحيوية بل ان كثيراً من خواصه يبقى ظاهراً عليه

وبما لا ريب فيه ان بعض مظاهر الحياة يظهر خارج الخلية وبمبدأ عنها اي في اجسام غير آلية ويصاحب ظهورها فيها اعراض تشبه اعراض المادة الحية . وقد ثبت بالمشاهدة والامتحان ان وجه الشبه بين اعراض الفئسين تام فان بعض العلماء أبان ان الاعراض المرافقة للبلورات والجراثيم البلورية تشبه اعراض الحياة كل الشبه

### الباب الرابع

#### ارتقاء المادة الحية وغير الحية وتغيرها

من اشهر خواص الجسم الحي ارتقاؤه وتغيره المستمر . فانه يبدأ ضعيفاً ثم ينمو ويرتقي ثم ينحط ويضمحل . ورب سائل يسأل هل هذا الارتقاء وهذا التغير خاصان بالجسم الحي ألا يطرأ على الجسم غير الحي ما يشبههما . والجواب عن ذلك لا يحتمل اقل ريب . فقد قال ييشات — ولم يصب كبد الحقيقة في ما قال — ان الخواص الحيوية وقتية ومن مزيتها انها نفسها على مر الزمن . بخلاف الخواص الطبيعية فانها ازلية ابدية . فالاجسام غير الحية لا بداية لها ولا نهاية لازمة ولا زمان محدوداً ولا ارتقاء بل تبقى غير متغيرة كالموت الذي هي صورته

وهذا القول غير صحيح في الاجرام السموية مثلاً . فقد زعم القدماء ان الاجرام السموية لا يطرأ عليها تغير ولا فساد وبقي هذا الزعم متسلطاً على العقول حتى القرن السابع عشر حين

وجه الراصدون اول منظار اخترعه غليليو برقيون يد وجه السماء فدهشوا لما رأوا في الفلك من التغيير على حين انهم كانوا يعتقدون انه ثابت لا يتغير . اما نحن فلا يدعنا ما يطرأ على الاجرام السموية من التغيير آنأ بعد أن فان مذهب لابلاس في اصل الافلاك بات معروفاً مشهوراً وما من احد الا ويعرف شيئاً عن تغير الاجرام السموية ودوراتها المستمر . قال المسير فاي ان الاجرام لم تكن موجودة منذ الازل بل كان لها زمان تكوّنت فيه ولا بد ان تشيب وتهرم ثم ينطفئ سراجها اخيراً

وعليه فان الاجسام غير الحية ليست ابدية لا تتغير . فان الاجرام السموية قابلة للارتفاع وارتفاعها بطيء بالنسبة الى ما يشاهد على هذه الارض . ولكن اختلاف تلك النسبة المطابق لطول الزمان واتساع المكّات ممّا لا بعد مقايستنا شيئاً مذكوراً في جنبهما لا يتغير وجه المشابهة الجوهريّة بين الامرين

ولكن مالنا وللاجرام السموية البعيدة عنّا في البحث عن حركة الاجسام غير الحية المشابهة لحركة الاجسام الحية . ونسأل علماء الفلسفة الطبيعية والكيمياء القريبين منا يجيونا او ننظر الى ما حولنا تكشف لنا الحقيقة باوجها . اما علماء الجيولوجيا فان لدانتك يذكر جيولوجياً قسم الجمادات الى قسمين سمي الاول منها بالصخور الحية وهي الصخور التي يتغير تركيبها وترتبي مطاوعة لتأثير الظواهر الجوية فيها . وسمي الثاني بالصخور الميتة وهي التي بعد ما مرت بها ادوار التغيير كلها بلفت دوراً وقت عنده واستراحت راحتها الاخيرة ومن هذا القبيل الطفال . وذهب غيره الى ابد من ذلك فقال ان الصخور الحية تصاب بالمرض ويدركها الهرم ثم الموت . وبمثل هذا الكلام يتكلم باعة الجواهر هذه الايام عن بعض الجواهر الثمينة

اما اهل الكيمياء القديمة فقالوا في ذلك ما شاؤوا ووزعموا ان انواع المادة المختلفة عاشت وبلفت واستحالت من نوع الى آخر

هذا والمشهور ان كل شيء في الكون لا ينقطع عن العمل والحركة وان سكون الاشياء الطبيعية امر ظاهري فقط سببه عجزنا عن الشعور بحركتها الداخلية فاننا لا نرى الدقائق والذرات التي تتألف منها لشدة صغرهما مع انها في حركة دائمة - تتخطر ذهاباً واياباً ويحلّ بعضها محل بعض وتتجمع في صور وامكنة ملائمة لاحوال الوسط المحيط بها وهذه الحركة حقيقية لا وهمية وهي تنتج تبعاً لتعبه راحة كما في الاجسام الآلية . واول من ذكر تعب المعادن او تعب مرونتها اللورد كلفن ونسب غيره الى الاجسام غير الحية اوصاف الاجسام

الحية مثل انجاء الزجاج مطاوعة للضغط ومقاومة الفولاذ للانسحاب مدافعة عن نفسه من الانقصاص وما اشبه ذلك. ومنهم من نسب اليها الذاكرة وآخرون نسبوا اليها المسترياً في كلامهم على اتصالات الاجسام المعرضة للمغناطيسية او بعض القوى الميكانيكية. واعترف علماء الفلسفة الطبيعية الذين بحثوا في مرونة الاجسام كلهم ما عدا واحداً منهم ان تأثير قوة خارجية في جسم ما يتوقف على القوى التي فعلت فيه قبلاً لا على القوة التي تفعل فيه الآن وحدها. حتى قال احدكم ان قطعة من سلك الحديد تذكر ان كانت قد سحبت او نكبت او طرأ عليها طاريء آخر الى مدة محدودة ثم تسمى ذلك

على ان أبسط الطرق للحكم في حركة المادة ان نشاهدها حيث دقائق المادة حرة تتحرك كيف شامت. وذلك فيما اذا نظرنا بالمكروسكوب دقائق الغبار الطافية على وجه سائل من السوائل او تقط الزيت العائمة على وجه الماء. فاذا كانت تلك الدقائق او النقط صغيرة جداً ظهرت قلقة مضطربة لا تستقر على حال ولا تنقطع عن الحركة البتة وهذه الحركة تسمى "حركة برون" نسبة الى العالم الانكليزي برون فانه كان اول من اكتشفها وذلك سنة ١٨٢٧ والذي يأخذ نقطة من ماء النهر او البحر وينظر اليها بالمكروسكوب يندعش من كثرة حركة الاحياء المكروسكوبية التي فيها ولكنه يرى دقائق اخرى دائمة الحركة والاضطراب وهي ليست اجساماً حية بل غبار معدني ودقائق اخرى غير آية. ولا لباس حركتها بحركة الاحياء المكروسكوبية كثيراً ما اخطأها الباحثون فظنوها نوعاً من الحيوانات او البكتيريا على ان الخبيرين يسهل عليهم التمييز بينها وبين الاحياء الحقيقية فان حركتها اشبه بمختران الرصاص اي لنها حركة لا ينتقل الجسم المتحرك بها من موضعه بخلاف حركة الاجسام الحية وكلما زاد حجمها بطؤت حركتها او قل حجمها أسرع حركتها حتى يمسر تنبها. وقد قال بعضهم ان تلك الحركة لا تتوقف على طبيعة الدقائق المتحركة ولا على شكلها ولا على طبيعة السائل الذي تعلق به بل على قوامه او درجة لزوجه فانها أسرع في الكحول والايثير مما هي عليه في الحامض الكبريتيك والجليسرين مثلاً. ومن الادلة على ان تلك الحركة ليست حيوية وجودها في السوائل التي أغلقت وفي الحوامض وغيرها من السوائل القاتلة للحياء. ومن ام صفاتها دوامها وعدم انتهاء ملتتها فان مخنور الغرائث تنقسم بلورات من الكوورترز وكانت كل بلورة من تلك البلورات تحوي عند تكونها على نقطة ماء وفقاعة من الغاز ولا تزال تلك الفقاعة تتحرك حركتها الخاصة من العصر التاريخي الى الآن (اي منذ ملايين من السنين) ولا يعلم سبب هذه الحركة. فقد قال بعضهم ان سببها اهتزاز الارض نفسها ولكن غيره

اثبت وجود تلك الحركة حيث لم يظهر على مرآة الزئبق التي توضع في مقاييس الهزات والزلزال اقل اضطراب يدل على اهتزاز تحت الارض. ثم ان الحركة لم تزد عند اهتزاز الارض وظهور اثر الاهتزاز على المقاييس المذكورة ولم تتغير بتغير النور والمنطوية والمؤثرات الكهربية وغيرها من الطوارئ الخارجية

اذا اخذنا قطعة من الكوروتز تتضمن غازاً ظهر لنا انها جامدة لا اثر للحركة فيها ولكن اذا نظرنا اليها بالكركوب اتضح لنا ان جمودها وهمي لا حقيقي. فاننا ننظر الى الجسم الذي امامنا كما ننظر الى جهور غفير من الناس عن بعد - نرى مجموعهم ولكننا لا نرى كلا منهم بمفرده ولا نشعر بحركته ولو كان ذلك المجموع متحركاً. فاذا نظرنا اليهم بالتلكوب رأيناهم جميعاً ما تبجاً مضطرباً. وزد على ما تقدم ان دقائق الاجسام لا تقتصر على الحركة داخل الجسم الذي يتألف منها بل انها تنتقل من جسم الى آخر مطاوعة للمؤثرات الخارجية مثل النقل والضغط والجذب والتل والنور والكهربائية وما اشبه. فن التجارب التي عملت للدلالة على انتقال دقائق المادة بالثقل والنفط انهم وضعوا قطعاً من الفلين في قراناء صغير من الخشب وقطعة من الشمع الاسود الذي يستعمله صناع الاحذية فوق الفلين وحصى صغيرة فوق الكل. وبعد مدة وجيزة انقلب ذلك الترتيب فهبطت الحصى الى الاسفل وارتفعت قطع الفلين الى الاعلى وقطعة الشمع بينها

وجرب بعضهم التجربة الآتية وهي انه اتى باسطوانة صغيرة من الرصاص ووضعها على قرص من الذهب ووضع الاتنين في مكان درجة حرارته مثل درجة غليان الماء بقايا جامدين لان الذهب يذوب على درجة ١٢٠٠ م والرصاص على درجة ٣٣٠ م وبقياً على تلك الحال شهراً ونصفاً ثم قص الرصاص فوجد ان دقائق الذهب بلغت واس اسطوانته. وأبان آخره اذا وضع قرص من النحاس وقرص آخر من الزنك معاً وضغطاً ضغطاً شديداً القعما عند سطحهما المتماثلين وهذا ما لا يحدث اذا كانت دقائقهما لا تتداخل

فهذه الشواهد وغيرها تدل على وجود حركة مستمرة بين دقائق الاجسام غير الحية وان تلك الحركة ترس بقايا الطوارئ الخارجية حفظاً لها كما هي الحال في الاجسام الحية. وان الاجسام غير الحية قابلة للتغير والتأثر مثل الاجسام الحية بل قد تكون اشد تأثراً منها احياناً فان الزئبق في الترمومتر يرتفع او يهبط لافل تغير في حرارة الهواء مما لا يشعر به جسم من الاجسام الحية

## الباب الخامس

## الاجسام الحية والبلورات

قلنا في كلامنا على خواص الاجسام الحية ان اهم تلك الخواص ثلاث الاولى ان لها شكلاً خصوصياً. والثانية انها قابلة للنمو والتغذية. والثالثة انها قابلة للتوليد. ففي عالم الجماد تقصر كلامنا على الاجسام المتبلورة لانها في وحدها ذات شكل خصوصي دون غيرها فنقول ان للجماد ميلاً ظاهراً الى اتخاذ اشكال بلورية اذا كانت القوى الطبيعية التي يخضع لها منتظمة في اعمالها غير عرضة للطوارئ الفجائية. وهكذا يقال في الاحياء فانها لا توجد الا في وسط منتظم سالم من العوارض والتغير الطبيعية. والجسم الحي يميل منذ ظهوره الى اتخاذ شكل خصوصي رغمًا عن العوارض والمصاعب التي يلقاها في طريق نموه. فيضيد جراحته ويصلح ما يطرأ عليه من الفساد. وهذه الامور تمتد في عين الفيلسوف الطبيعي اهم خواص الجسم الحي لانها ادل الدلائل على وحدانيته. وقد يتبادر الى الذهن انها خاصة حيوية محصورة في الاجسام الحية لا تتجاوزها الى غيرها ولكنها ليست كذلك لانها من خواص الاجسام المتبلورة ايضاً

وليان ذلك نذكر بعض الشيء عن تكون البلورات واتخاذها اشكالاتاً خصوصية للتماثلة بينها وبين الاجسام الحية. ويراد بالشكل في النبات والحيوان وعلم البلورات تجمع دقائق الاجسام على نظام محدود او هو الترتيب بينه. فحجم الانسان مثلاً بناءً يخون على ٦٠ مليون مليون خلية تتحد كل منها مكثتها معداً لها. ويراد بالشكل ايضاً في علم البلورات الترتيب الذي تظهر البلورات فيه. وربما كان يتجمع عناصر البلورات ابسط من تجمع دقائق الاجسام الحية ولكن البلورات ليست اقل ترتيباً وانتظاماً من الاجسام الحية

اما اوجه الشبه بين الاجسام الحية والبلورات فمنها ان الشكل البلوري يعين نوع الجماد كما ان الشكل التشريحي يعين الحيوان والنبات. ومنها ان تشابه اشكال الحيوانات والنباتات تدل على تشابه اصلها ونوعها وهكذا يقال في البلورات فان تشابه اشكالها يدل على ما بينها من صلة القرى. ومنها ان انواع الجماد المتشابهة في تبلورها وتركيبها الكيماوي يمكن ان يخل بعضها محل بعض في البلورة الواحدة عند تكونها فتمتزج معاً وامتزاجها هذا يقابل تزواج الاحياء التي من نوع واحد. ومن اهم اوجه الشبه بين الاحياء والبلورات دفاعها عن نفسها واصلاح ما يطرأ عليها من الفساد. فمن المشهور ان الجسم الحي يرمم جراحته ويسترد ما فقده ويجدد الاجزاء التي تزال منه. وهكذا تفعل البلورة. فقد ابان بعض الباحثين ان البلورات تتكون

من نواة اصلية كما يتكون الحيوان من الجنين وان الاجزاء التي تكون منها تتجمع طبقاً لتواعد هندسية وعلى مثال ما يجري في البيضة التي يتركب منها جسم الحيوان . على انه قد يطرأ على البلورة طارىء في خلال تكوئها فتشوه ولكنها تصلح ذلك كما شاهد باستور . فقد قال انه اذا كسر قسم من بلورة تم اعيدت الى السائل الذي تكونت منه اخذ حجمها يكبر من كل جانب وخصوصاً من الجانب المكسور ولا تمضي ساعات قليلة حتى يتم جبر الكسر وانتظامه على مثل ما كان عليه قبلاً

### الباب السادس

#### تغذية الجسم الحي والبلورة

قالوا وأصابوا ان خاصة التغذية اهم خواص الاحياء ولكن في البلورات عملاً يشبه عمل التغذية . فان البلورة تنمو من نواة اصلية كما قلنا سابقاً نقابلها الجرثومة في النبات والجنين في الحيوان . واذا وضعت تلك النواة في سائل من نوعها نت بتشيل مادة السائل وهي تحافظ على شكلها وقد تبلغ حجماً كبيراً اذا عرفنا كيف تغذيها . وكثيراً ما يحدث ان جزءاً جديداً من البلورة يعبر نواة تمتص من السائل الذي حولها فيتألف منها بلورة جديدة ملاصقة للأولى واذا رفعت من السائل تحوكت عن النمو مثل بزور النبات حتى اذا اعيدت اليه عادت تنمو وتكبر . ونموها يتوقف على حرارة السائل الذي هي فيه فاذا بردت باذا احيى ذابت . وهذا يشبه ما يجري في الاحياء من بعض الوجوه

وقد يتبادر الى الوم ان بين الجسم الحي والبلورة تناقضاً تاماً في كنية التغذية والنمو فان الجسم الحي يتغذى بالمدخلة<sup>(١)</sup> والبلورة بالملامسة . وذلك لان البلورة مؤلفة من سطوح لا تتخللها المواد المغذية وعليه يتم عمل التغذية فيها بالملامسة الخارجية ويزيد حجمها بالاضافة اليها من الخارج . اما الجسم الحي فعلى ضد ذلك فان المواد المغذية تتخلل بسهولة لانه مؤلف من خلايا ذات صور واشكال متديرة مرنة فالسوائل والغازات التي تصيبه من الخارج تستطيع دخوله بلا استئذان فيتم عمل التشيل في جميع اجزائه ويزيد حجمه بزيادة كل حجر في بنيانه

على ان هذا التناقض الظاهر يقل اذا قابلنا ما بين الجهاد البسيط في تركيبه والجسم الحي المركب . ثم ان المدخلة والملامسة ليستا سوى واسطتين ميكانيكيتين يلجأ الجسم الحي اليهما

(١) هي تسمى بالانكليزية Intussusception ويراد بها اغتذاء الجسم الآلي بالمواد غير الآلية باذخالها فيه كما يراد بها ما اطلق عليه علماء الطب اسم اندغام الامعاء اي دخول بعضها في بعض

على السواء طبقاً لحاجته بلا تمييز بينهما . فان عظام الجسم لتنفذ وتنفذ بالاضافة اليها من الخارج وكذلك اصداق الحيوانات ذوات الاصداق وفلوس الزحافات والاممك كما هي الحال عليه في البلورات . فالمداخله والملاصه اذا واسطتان ميكانيكيتان لها علاقة بالصفات الطبيعية التي للاجسام الحية والبلورات وهي الجلود في البلورات والخشور في البروتوبلازم . واذا قابلنا السائل غير الآلي بالمادة الخائرة الآلية رأينا ان ما يضاف الى كليهما يتم امتزاجه بالمداخله . مثال ذلك اننا اذا اخفنا نوعاً من الاملاح التي تذوب الى سائل ما تداخلت دقائق الملح في دقائق ذلك السائل . وعليه فليس في المداخله امر جوهري خفيت حقيقتها على الانعام

### الباب السابع

#### تولد الحي والجماد . التولد الذاتي

الحي انما يتولد من الحي . والبروتوبلازم الذي فيه انما هو جزء من بروتوبلازم سابق له والصنصر التي يتركب منها سلسلة عن عناصر حي قبله خلفاً عن سلف . ومثل هذا يقال في بعض البلورات فانها تتولد من بلورات سابقة وعليه يمكن ان تعدّ بنسبة نسل لها هذا وان النمو في الحي ناموس الحيوية الاساسي والتوليد النتيجة اللازمة عن النمو . واخلايا الحية لا بد ان تزيد وتضاعف . ففي الاحياء البسيطة يتم التناسل بالاتقسام او التجزؤ . وفي الاحياء المركبة يتم باعضاء خصوصية . وربما ظهر ان ذلك مقصور على الحي دون الجماد وان التماسل او التوليد خاصة من خواص الحي يمتاز بها على الجماد . ولكن ذلك ليس كذلك كما يظهر مما يأتي

اذا اراد المشتغل بتربية المكروبات ان يربي نوعاً منها وضع بعضها في سائل الترية ففت واثرت . واذا اراد تربية نوع من المكروبات التي توجد عادة في الهواء لم يضطر ان يضع شيئاً منها في السائل بل اذا ترك انبوبة السائل مفتوحة وتمت المكروبات عليه وتولدت فيه وتكاثرت وتولدها هذا يشبه ان يكون ذاتياً . وقد ابان بعض العلماء الطبيعيين ان بعض السوائل مثل محلول كبريتات الصودا وكبريتات المنفيسيا وكلورات الصودا تصلح لتربية بعض انواع البلورات . فالشبه بين الامرين ظاهر الا ان هناك فرقاً مهماً وهو ان البلورات تتولد بسرعة عظيمة بخلاف المكروبات فانها تتولد ببطء

ومن اوجه الشبه بين الاثنين انه يمكن تلقيح سائل بالبلورات كما يمكن تلقيح سائل آخر بالمكروبات وان البلورات شديدة الصغر في حجمها مثل المكروبات . وقد قسمت السوائل التي

تذاب فيها الاجسام القابلة للذوبان الى قسمين قسم يبقى سائلاً لا يتبلور الا اذا لقع بالبلورات وقسم يتبلور من ذاته بلا ادخال شيء اليه وهذا ما يسمى بالتبلور الذاتي وهو يشبه ما يسمى بالتولد الذاتي في الاحياء . فخذ مثلاً لك الفليسرين فاننا لا نعلم ما هي الاحوال والشروط التي يتبلور فيها لاننا اذا بردناه لم يتبلور بل يتحول الى سائل كشيء على ما هو معلوم . وكل ما نعلمه عنه انه يتبلور ولكن تحت شروط واحوال مجهولها . ولم تكن بلورات الفليسرين معروفة قبل سنة ١٨٦٧ بل عرفت فجأة تلك السنة وقد ظهر بالتجربة انها تذوب على درجة ١٨ من ميزان ستغراد فاذا لم نتخذ التدابير اللازمة لبقاء البلورات الموجودة منها الآن على تلك الحرارة ذابت كلها وانقرضت عن وجه الارض

فيظهر مما تقدم ان الجمد يشابه الحي - مشابهة كثيرة في ظهوره وانتشاره وانقراضه . وهذه الامور تقضي الى نتيجة واحدة . فقد كانت البلورات قبل اجتماع الشروط والاحوال الملائمة لتولدها الذاتي لتولد من بلورات اخرى ليس الا كما ان المتنطس كان يعمل قبل اكتشاف المنتطيسية الكهربائية بامرار المتنطس على قطع الفولاذ . وعلى هذا المثال كان القدماء يزعمون ان كل نار جديدة كانت تضر من شرارة قبست من نار موجودة قبلاً . وما قاله القدماء في النار قوله نحن الآن في الاحياء الارضية وهوائه ما من حي الا وقد اشتق من حي آخر موجود قبله . ولا يبعد ان نرى الحي يتولد من غير الحي كما تتولد النار من غير النار

## فلسفة الحرب الحاضرة

ونبذة من تاريخ اليابان

نشرت المجلة العمومية الفرنسية فصلاً عظيم الفائدة عن الحرب الحاضرة فاخترت تعريبه لانه يشغل على الاسباب التي حملت اليابان على امتشاق الحسام ومنازلة الروس في حرب عوان لا يعلم الا الله متى يكون منتهاها قالت  
يخطئ من يظن ان اليابان انما شهرت الحرب على روسيا لمجرد امتلاك كوريا فان السبب الاعظم في اقدامها على هذه الحرب هو ان تقدمها السريع في جميع فروع المدنية اضطرها ان تطلب خارج الجزر اليابانية الضيقة مكاناً فسيحاً يسعها وهي تبني بناء تمدنها وعمرانها لان

الشعب الياباني الذي اخذ يرتقي منذ ثلاثين سنة رأى نفسه محصوراً في بلاده وعليه يصح القول ان تقدم اليابان السريع اولد تلك الحرب

هذا ولم يسبق في تاريخ البشر ان امة خرجت في ثلاثين سنة من حضيض الجهل والفتن ونفضت عنها غبار التل والمسكنة واقتدت ياوروبا فنظمت بلادها تنظيمياً يفرض تنظيم اعظم البلاد المتقدمة حتى فاقت البعض منها بمراحل. بل لم ننظر في اي تواريخ من التواريخ ان امة نظمت جنديتها تنظيمياً بديها وانشأت لنفسها عارة بحرية ضخمة وفتحت المدارس في بلادها على اختلاف طبقاتها وزعامتها وبلغت ما بلغت اليابان في تلك المدة القصيرة حتى استطاعت الان ان تقف في وجه اعظم دول الارض جاهداً وعزةً ومخماة

في ثلاثين سنة انتقلت بلاد اليابان من استبداد القرون الوسطى التي كانت اوربا غارقة في لججه الى ارقى تمدن حديث اي ان فلاحاً يابانياً عمره الآن سترن سنة راي ما لم يره آباؤنا اي انه قضى شبابه كخادم حقير عاش في ايام شارلمان وشاخ بين الافكار والعادات الحديثة. ان هذا لشيء عجاب

فان الجزر اليابانية كانت من مدة سبع وثلاثين سنة قائمة في وجه الشعوب الاوروبية كارض مضي عليها عشرون قرناً وهم لا يعلمون من امرها شيئاً وكانت احوالها الداخلية تشبه احوال اوربا في زمن استبداد الامراء لان ساطة الامراء كانت في اليابان عظيمة وكان الاجانب يستوطنون بعض الثغور البحرية ويمشون بمزل عن البلاد الداخلية لان تكرار المذابح والثورات علمهم ان عاقبة التوغل في داخلية البلاد وخيمة حتى انه كان يهون على الانسان ان يسكن الصين ولا يسكن اليابان

فلم نسمع الا وثورة عظيمة قلبت نظام البلاد رأساً على عقب وغيرته تغييراً كلياً ذلك لان بعض اليابانيين وجدوا لدا بلادهم المستعصي دواء شافياً فقلبوا نظامها المخل وابدلوه بنظام جديد يشبه نظامات الغرب الحديثة فجارهم امبراطورهم الحالي "موتسوهيتو" وغير وبدل ونبد تقاليد البلاد القديمة واقتبس من مدينة الغرب ما تمكن به من انشاء مملكة عظيمة. منذ ذلك الحين سقطت اليابان القديمة وسقط معها نفوذ امرائها وهم في سبات وغفلة لا يعلمون معنى لهذا التغيير الفجائي. فاعلنت اذ ذلك مساواة اليابانيين جميعهم امام القانون واعلنت معها الحرية الشخصية وصار الامبراطور يحكم بمشورة برلمان او مجلس نواب ينتخب من افراد الامة وفتحت الثغور البحرية كلها في وجوه الاجانب وانتقلت عاصمة المملكة الى توكيو رسمياً. ذلك كله جرى في بضعة اشهر ليس الا

فاهتم اليابانيون بمد الثورة باصلاح البلاد لان الحكومة الحديثة تستلزم بلاداً احدث منها والحق يقال ان التفنن الغريب الذي اظهره اليابانيون في هذا المجال يحير عقول ذوي الالالباب ويتقضي بالعجب العجيب . فضربت النقود وتأسست البنوك وانتشر التعليم الصناعي ومد التلغراف والتلفون والسكك الحديدية والزراعية وانشئت المدارس والمجلات العلمية ونظمت البلاد وصار لها بوليس هو الآن في غاية من المهارة بل يضارع بوليس فرنسا والمانيا في الخدق والاستنباط

مدت السكك الحديدية اولاً بين طوكيو ويوكوهاما وذلك سنة ١٨٧٠ فربط بها اعظم ثغر لليابان بما صمتها وبلغ طول الخط جميعه ٢٨ كيلو متراً . وفي سنة ١٨٨٠ كان طول سكك الحديد اليابانية ١١٧ كيلو متراً فبلغ ٣٠١٠ كيلو مترات سنة ١٨٩٠ و ٦٠٨٠ كيلومتراً سنة ١٩٠٣ وهذه الزيادة عظيمة مدهشة . وكان في البلاد سنة ١٨٦٨ خط واحد للتلغراف بين طوكيو ويوكوهاما وفي سنة ١٨٩٣ بلغ طول اسلاك التلغراف ١٣٥٧٦ كيلومتراً وفي سنة ١٩٠٣ بلغ عشرين الفاً وهذا التقدم سريع عظيم . ولم يكن للوسطة الرسمية اثر في اليابان منذ ثلاثين سنة اما الآن ففيها الوف من المكاتب على غاية من الضبط والنظام

وعلى قدر ما كانت اليابان لتقدم في المدنية والاصلاح كانت لا تألوجيداً في تنظيم جنديتها ومجربتها والافتداه بالدول الاوربية وخصوصاً فرنسا والمانيا مطمح انظارها ومقصد افكارها . فانشأت جيشاً عاملاً مؤلفاً من مئتي الف جندي وريفاً يبلغ مئة الف جندي والغرض منه مساعدة الجيش العامل في الحرب . ومئة الف جندي من الجيش الاحباطي يجمعون عند ميس الحاجة . وفيها غير الجيوش المتقدمة ٤٦ اورطة من الطويحية وتسعون الف جواد عدا المستشفيات والخدم والقتالين والحمالين . اما من جهة البحر فان التغيير عظيم ايضاً لان اليابان اشترت من اوربا ٧ بوارج حربية من الطبقة الاولى و ٧ مدمرات مصنعة على احسن طرز وابدع مثال و ١٧ بارجة حربية و ٣٠ ناقة هذا عدا كل ما زاد من البوارج والدوارج بعدتفر وهو كثير فدخلت اليابان بذلك في مصاف الدول البحرية العظمى

واغرب من هذا وذاك دقة الياباني في العمل ومهارته في الاختراع والاستنباط بحيث لا يمكن الاوربي ان يفوق عليه كثيراً . فالصناعة التي كان لا يذكر لها اسم عندم تمت وثقوت وعظمت الى حد ان معمل واحد في طوكيو باع من الحرير في سنة واحدة ما بلغ ٢٥ مليون فرنك ولما كانت اليابان بمجموع جزائر كان عليها ان تزيد عدد بواخرها تسليلاً للتجارة ففي سنة ١٨٩٠ كان عندها ٨٥٥ سفينة شرعية و ٥٨٠ باخرة فصار عندها في سنة ١٩٠١

اربعة آلاف سفينة شراعية و ١٤٠٠ باخرة فيالغظمة ذلك النحوي هذه المدة القصيرة  
 اما نتيجة هذه النهضة فكانت هكذا: ان اليابان انتصرت على الصين وكوريا في حرب  
 منظمة واتحدت مع اعظم دولة بحرية في الغرب وزادت تجارتها الخارجية زيادة خارقة للعادة  
 ففي ١٨٩٠ قدرت تجارة اليابان الخارجية بمبلغ ٣٥٠ مليون فرنك فبلغت عام ١٩٠٢ مليارات  
 و ٣٥٠ مليوناً اما اشغالها الداخلية فعظيمة ايضاً ويكفي شاهداً لذلك ان تقول ان بنكاً واحداً  
 من بنوكه يوكوهاما دفع الى احد عملائه تحويلاً بالتلغراف بمبلغ ٧ ملايين ونصف مليون فرنك  
 ولكن هل تقدمت تلك البلاد هذا التقدم الباهر في جميع فروع المدنية دون ان يكلفها  
 ذلك شيئاً . كلا فمن جهة زادت نفقات الجند زيادة عظيمة وتضاعف دينها وازدادت  
 الضرائب وحب الاستخدام في دوائر الحكومة الى غير ذلك مما هو مشاهد في حكومات  
 الغرب الكبيرة . ولكن هناك خطراً عظيماً يكبر يوماً فيوماً ويهدد حياة تلك الدولة الشابّة المتلثة  
 دماً وقوة وشعوراً ذلك ان مساحة الجزر اليابانية كلها تكاد تبلغ ٣٨٢ الف كيلومتر والذي  
 يمكن زراعته منها ٥٠ الفاً فقط فاذا كان ازدياد السكان سنوياً يقدر بمجمعاة الف نسمة  
 تعذر على تلك الجزر ان تقوم بمعيشة شعب يبلغ عدده ستون مليوناً بعد عشرين سنة فاصبح  
 من المقرر الواجب على اليابانيين ان يهاجروا من بلادهم لطلب الرزق في بلاد اخرى حيث  
 يستطيعون توسيع دائرة اشغالهم واعمالهم بفتح السبل في وجه تجارتهم ومناعتهم . فاذا سلمنا  
 بوجود الهجرة فالى اي بلاد يهاجر اليابانيون

والجواب ان الياباني يطلب الشرق الاقصى برمتيه من سنقافورة الى فلادفستوك والمند  
 الصينية ضمن هذه الدائرة الواسعة . ورب قائل يقول ان تحقيق الاحلام اهون من تحقيق  
 آمال اليابانيين فنقول ان اليابان كبرت الى حد صارت معه المهاجرة محنة عليها لان  
 المواليد تزيد سنة بعد سنة زيادة عظيمة تضطر الياباني الى تحصيل رزقه في غير جزره الضيقة  
 واذا علمنا انه يدين يدين الامم التي يحاول المهاجرة اليها ويتكلم بلغات تلك البلاد التي  
 يريد الانضمام اليها سهل عليه هذا الاستعمار وهذا التوسع خصوصاً بعد ان ملكت اليابان  
 زمام التجارة والصناعة في جميع الشرق الاقصى وضربت مصالح اوروبا جماعاً بحروب مدنية لا  
 تلبث ان تعود عليها بالفوائد خصوصاً بعد ان رأينا منها هذه العظمة وهذا التقدم في كل  
 فن من الفنون

يبد انها لم تحط خطوة في هذا السبيل الا رأت امامها ان الجنس الابيض يناشها حرباً  
 عواناً ويدافع عن مصالحه مدافعة اليائس لان اوروبا واميركا تبعان معاً للشرق الاقصى كل

سنة بأحد عشر ملياراً من الفرنكات تخافنا ان تجل اليابان محلها في تلك الاسواق العظيمة بعد ان صارت الآن في غنى عن محصولاتهما لانها تكفي نفسها بنفسها وتزيد وتزاحم بضائع غيرها لرخص هذه البضائع عندها وهذا ناشئ من رخص اجور العمال في مصانعها . فتعذر اذ ذاك على اوروبا واميركا منازلتها في حروب تجارية مثل هذه حتى اوشكت تجارتهما ان يبرر في تلك الاصقاع

وظلت الحال على هذا النوال منذ سبع سنوات واوربا تجذب لليابان حساباً عظيماً فخرمتها الانتفاع بنصرتها التي احزمتها على الصين وردتها داخل بلادها من غير ان تنال شبر ارض من عدوتها وخصيتها فسكتت اليابان لهذا الفشل وكالت لاوربا من جهة اخرى الصاع صاعين فطردت وكلاء المحلات الاوربية التجارية الذين عندها بان زادت الضرائب على بضائعهم فلما وجدوا ان لا باب لهم للربح بهذه الطريقة غادروا البلاد . وعجلت في اصلاح جيشها وتكبيره واعداد بحريتها وجابت بحار الشرق الاقصى كلها طلباً للتجارة فهددت تجارة اوروبا وزادت مهاجرة ابنائها لجميع السواحل الصينية والكورية خصوصاً

بمثل هذا ظنت اليابان انها انتصت من اوروبا انتقاماً هائلاً . ولكن " ماكل ما يتقي المرء يدركه " فان سكة حديد سيبيريا التي لم يعلم اليابانيون بها قط اظهرت لهم ان اوريا قريبة منهم تهددهم تهديداً عظيماً لاسيما اذا تمكنت من ابتلاع منشوريا وكوريا والاشراف على البحر . منذ هذا الوقت تقررت الحرب واصبحت امراً واجباً لا بد منه لان آمال اليابان واشغالها المتواصلة باتت مرتبكة وبلادها على شفا جرف هار

اما الآن فلا يفكرن احد في ان الحرب الحاضرة هي بين روسيا واليابان فقط وان كوريا هي سببها . كلاً فهي حرب بين جنسين الجنس الابيض والجنس الاصفر لاجنكار اسواق الشرق الاقصى والتوسع في المهاجرة والاستعمار فان فازت روسيا على اليابان فانما هي تشتغل لمصطنعها اولاً . وسلطة اوريا ثانياً . وان فازت اليابان عليها كان لها من وراء ذلك فوائد جمة تجعلها بعد زمن في غنى عظيم وعزٍ مقيم

## خطبة الوزير بلقور

(رأس الوزير بلقور يجمع ترقية العلوم البريطاني الذي التأم في اواسط اغسطس في مدرسة كبرج الجامعة وخطب فيه خطبة انيقة جعل موضوعها "تأملات مبنية على الرأي الجديد في المادة" وهو الرأي الذي بسطناه منذ بضعة اشهر ومفاده ان جواهر المادة التي كان يقال انها جواهر فردة او اجزاء لا تتجزأ مؤلفة من دقائق كهربائية صغيرة جداً فالكهربائية اصل المادة او الميولي . وما تعرب الخطبة )

ان هذا الجمع يلثم غالباً في المدن المزدهمة بالسكان حيث تزدكرشدة ارتباط العلم الحديث بالصناعة الحديثة اذا جاز لنا ان ننسى ذلك اي ارتباط المباحث المجردة التي يشتغل بها رجال العلم باعمال المختربين والصناع . وهذا امر لا بد منه لانه لا يمكن نفي الارتباط التام بين العلم والشغل ما لم يُصَرَّ الاثنان معاً ومن يستخف بما يستفده كل منهما من الآخر فليس هو بالصديق الخيم لهذا ولا لذلك

ولكن قد انشئ هذا الجمع لترقية العلوم فيحسن ان يُختار لا للتشامخ من وقت آخر مكان نجه العناية فيه الى المباحث العلمية المجردة أكثر مما نجه الى تطبيقها على العمل . وان كان الامر كذلك فلا مكان اصح له من دور هذه المدرسة القديمة الجليلة لانه ان كان للمكتشفات الطبيعية مقر فمقرها هنا وان كان للذين يعتقدون ان العلم الطبيعي هو علم العلوم واصلها دار تحب بهم فهنا تلك الدار . وان لم يكن مخطئاً بفرضي للمدرسة التي ربيت فيها فليس في العمور بقعة مثل هذه اتصل بها بالدرس او بالتدريس عدد عديد من المشاهير الذين اكتشفوا الحقائق الطبيعية البعيدة . لا اقول شيئاً عن باكورن نبي مصر الجديد ولا عن دارون كوبرنكس علم الحياة لان يجني ليس في ما اضافته هذه المدرسة الى العلوم بنوع عام بل في ما اضافته العلماء الطبيعيون الذين تعلموا او علموا على رمية سهم من هذا المكان — من نيوتن في القرن السابع عشر الى كفنديش في الثامن عشر ونيغ وستوكس ومكسول في التاسع عشر وكلفن الذي يستحق عصره ان يسمى به الى رايلي ولارمور وطمنس وجهور العلماء الذين ممل كفنديش مركز حلقهم واراؤم العلمية تجعل او آخر القرن الماضي واوائل هذا القرن مثل اشهر القرون السالفة

وما هو البحث الذي عكف عليه هؤلاء الافاضل ورمفاؤهم من كل البلدان والى اي غاية كانت ترمي مباحثهم الطبيعية التي اشترت اليها . فقد طالما قيل ان قرضهم كشف

النواميس التي تربط الظواهر الطبيعية بعضها ببعض . ولكن هذا القول لا يُعرب عن الحقيقة ولا هو وافي بالمراد فأولاً لا يصح أن يطلق اسم الظواهر على الامور التي لا تظهر لمخالفات مشاعرهم ضعيفة مثل . شاعرنا ولم تظهر قط ولن تظهر ابداً . وهذا الخطأ لغوي راسخ يعتدّر اصلاحه فاذا غضضنا الطرف عنه وجدنا خطأ آخر وهو ان اكتشاف النواميس الطبيعية هو كل ما يُطلب من البحث في الطبيعة . فان العالم الطبيعي يطلب شيئاً آخر واما يحدث مع الظواهر ويتلوه من النتائج . يطلب شيئاً وراء النواميس التي تربط الحوادث الطبيعية وغرضه معرفة ماله وجود طبيعي حقيقي ابي معرفة الحقيقة الطبيعية وهذه الحقيقة قد يمكن ان تُدرك وقد يمكن ان لا تُدرك ولكنها مستقلة عن الادراك وبها يقوم نظام العالم المادي الذي اتصلنا به طفيف جداً ولا يعتمد عليه . اما انه يوجد شيء له وجود حقيقي فامر يعتقد العلماء ولو انكروه الفلاسفة واذا فرغت المجال وقلنا ان الانتقاد ينفي هذا الاعتقاد فالعلم كما يفهمه العلماء يزول ايضاً ولا يبقى له وجود

وان كان الامر كذلك وان كان من اغراض العلم ولا سيما العلم الطبيعي ادراك العالم الطبيعي في حقيقته ابي ادراك الحقيقة التي لها وجود حقيقي فيه فالمقابلة بين الصور العقلية المختلفة التي صوّرت بها هذه الحقيقة في الصور المختلفة بينه الذهن الى مسائل على غاية الاهمية . نعم انه لا يحق في ان يبحث في ما كان من هذه المسائل فلسفياً محضاً لان المجمع ليس فلسفياً ولا يحق في ايضاً ان يبحث في ما كان منها علمياً محضاً لاني لست كفوّه لذلك ولكن من هذه المسائل ما يقع بين بين ويحمل العالم الطبيعي والفيلسوف المنقطع للفلسفة على التساهل لمن يعتدي على حرميهما مثلي كما سافعل في الدقائق التالية

ومرادي الآن ان اقابل بين صورتين من هذه الصور الاولى منهما تمثل الآراء التي كانت متغلّبة في اواخر القرن الثامن عشر بعد ظهور كتاب المبادئ الذي وضعه نيوتن باكثر من مئة سنة وذاك الوقت متوسط بين ظهور ذلك الكتاب وبين عصرنا الحاضر . واظن انه لو سئل جمهور العلماء حينئذ ان يصفوا العالم الطبيعي كما يبدو لهم وكما يعتقدونه لقالوا على الراجح انه مؤلف من عناصر مختلفة ذات ثقل لها تراكيب كثيرة منتشرة في الفضاء تظهر على صور مختلفة بفعل الالفة الكيماوية والحرارة . وهما اختلفت صورها فهي خاضعة لتواميس الحركة ومادتها لا تتغير وهي تجذب وتنجذب من كل الجهات حسب ناموس الجاذبية العام مهما كانت الابعاد . وقد يضيفون الى هذه المادة ذات الثقل شيئاً لا ثقل له وهو الحرارة وكانت تجذب حينئذ بين العناصر و يضيفون ايضاً سائلين هما السائلان الكهربيان والذرات التي يتألف النور منها

وكان العلماء يتصورون ان الافعال تنتقل من مكان الى آخر من غير موصل ولم يكن احد يحلم حينئذ بما يقال له 'حفظ القوة'. وقد بحثوا في الكهربائية والمنطيسية بحثاً مهماً ولكنهم لم يعلقوا عليهما شيئاً كبيراً ولا اضطروا الى فرض وجود الاثير لتكميل نظام الكون ولكن حدث في ذلك الحين ما كان سبباً لتغيير عظيم في آراء الناس فان بنغ فنج باب المناظرة التي ادت اخيراً الى اثبات مذهب امواج النور والى الاعتقاد بوجود مادة بين الكواكب لا يصل هذه الامواج. ولا يقتصر ذلك على اثبات مذهب صحيح وتقض مذهب فاسد بل يتناول امرآ آخر وهو ادخال عنصر جديد شامل في صورة العالم على ما كانت يتصورها العلماء حينئذ. وهذا العنصر الجديد غير كل الآراء القديمة ولا يزال يغيرها. فان نظام الكون حسب مذهب لابلاس يكفيه ان يكون الفضاء واسعاً الى غير نهاية والشحوس واقارها منتشرة فيه على ابعاد شاسعة بعضها تام التكوين وبعضها لا يزال آخذاً في التكون ولكن اذا كان الفضاء غير المتناهي مملواً بمادة متصلة الاجزاء فالحال يختلف تمام الاختلاف ولا بد من ان يستدل منه على امور اخرى لانه لا يمكن ان يظن ان هذا الاثير ان كان موجوداً حقيقة فهو انما وجد لكي يوصل الى عين الانسان الامواج التي اتفق انها تؤثر في عصب البصر. فقد فرض وجوده لهذه الغاية ولكن يستحيل ان يكون وجوده مقصوراً عليها ولذلك فالاشياء التي تمتاز بعضها عن بعض من حيث الشعور بها كالنور والحرارة والاشياء التي لا تؤثر في المشاعر مثل الامواج الكهربائية في التعرف الذي لاسلك له مختلف اخلاقاً جوهرياً في الكم لا في الكيف كما هو معلوم الآن

وهذا ليس الكل ولا يداني الكل فاننا اذا فتنا القرن الذي يفصل سنة ١٨٠٤ عن سنة ١٩٠٤ وحاولنا رسم صورة العالم كما يتصورها بعض قادة الافكار الآن نجد انها تغيرت عما كانت عليه ولم يقتصر تغييرها على الاكتشافات الواسعة النطاق كالرأي الجوهري وتألف المادة من الدقائق وحركة دقائق الغازات ونواميس حفظ القوة وتوزعها بل تناول ما هو اهم من ذلك كثيراً تناول المقام الذي عرف للكهربائية والاثير في كل ما يدل على الحقائق الطبيعية التي يمكن البلوغ اليها

فقد كانت الكهربائية في نظر الفلاسفة الطبيعيين سنة ١٧٠٠ سبباً خفياً لبعض الظواهر الطفيفة وعرف حينئذ بل منذ عهد قديم ان بعض المواد كالكهرباء والزجاج تفرك فتصير تجذب الاجسام الخفيفة التي تقرب منها. وبعد نحو خمسين سنة عرف فعل الكهربائية في الصواعق وبعد نحو مائة سنة من التاريخ الاول عرف انها تجري كالسائل وبعمدة وعشرين سنة

منه عرف ان لها علاقة بالمنطيس وبعد ٧٠ سنة عرف ان لها علاقة بالنور والاشعاع الاثيري  
والآن قام اناس يقولون ان الاجسام التي نراها بميوننا ونلمسها بايدينا انما هي ظواهر  
حقيقتها الكهربائية وان الدقيقة التي كان الكيماويون يسمونها جوهرًا فردًا او جزءًا لا يتجزأ  
لها هي مجموع من الدقائق الصغيرة وهذه الدقائق ليست مادة مكهربة بل كهربائية محضة وكل  
مجموع يختلف عن غيره في عدد ما فيه من دقائق الكهربائية وفي ترتيبها فيه ونسبة حركتها  
بعضها الى بعض والى الاثير وعلى هذه الاختلافات وحدها تتوقف الخواص التي يمتاز بها ما  
كان يسمى حتى الآن بالجواهر الفرد او بالجزء الذي لا يتجزأ . والجواهر الفرد خاضع لتأثير  
التغير الشامل لكل ما في السماء والارض ولو كان تغيره بطيئًا جدًا يقتضي من الدهور ما لا  
يحسب معه الزمن الفلكي اللازم لبرد شمس من الشمس شيئًا مذكورًا

فان كانت المادة مجرماً من الجواهر الفردة وان كان الجواهر الفرد مؤلفاً من الدقائق  
الكهربائية فما هي هذه الدقائق . قد تكون كما ارتأى الاشاذ لارمور تغيرات في الاثير اشبه  
بالعقد في مادة متصلة الاجزاء لا تنضغط ولا تمتد . وسواء صح ارجاع المادة الى هذه الدقائق  
والوقوف عندها او لم يصح فهذه الدقائق غير منفصلة عن الاثير وتتوقف خواصها على اتصالها  
به . ويستحيل ان تكون كهربائية والاثير غير موجود

حقاً ان هذا التغير عظيم جداً فنذ متني سنة كانت الكهربائية العوبة عملية وهي الآن  
اصل المادة وجوهرها في نظر جمهور كبير من العلماء . ولم يثبت ان الاثير من عناصر الكون الا  
منذ مئة سنة ومن المحتمل الآن ان يكون هو العنصر الذي يتألف الكون منه . ويترب على  
ذلك امور في غاية الغرابة فقد كان يظن ان حجم الجسم شيء ثابت لا يعلل ولا يتغير مهما  
تغير حجم الجسم فلا يزيد ولا ينقص ومهما تجزأ فلكل جزء منه خواص الجسم كله المادية  
مهما تغير ذلك الجزء شكلاً وجرمًا وتغيرت صفاته الكيماوية والطبيعية

ولكن اذا ثبت ما تقدم عن حقيقة المادة فحجمها قابل للتقليل وقد علل فعلاً وهو ليس  
خاصة من خواصها بل عرض عام ناتج عن النسبة بين الدقائق الكهربائية التي تتألف المادة  
منها وبين الاثير الذين يحيط بها . وهو دائم التغير بحركته السريعة

ثم اتنا نعلم الرأي المشهور الآن من حيث اصل الشمس وسياراتها ونفاذ القوة منها في  
شكل النور والحرارة وان الشمس المشرقة الآن هي في منتصف عمرها بين كونها سديماً نشأت  
منه وبين الظلة المدلّمة التي تُصير اليها اخيراً حينما تنفذ القوة منها وتُصير الى برد قارس .  
وان الشمس التي انقضى اجلها كذلك صارت في حالة السكون التام عناصرها جامدة لا تتحرك

و يستحيل عليها ان تعمل عملاً كيميائياً . ولا سبيل لها لتسترد شيئاً من القوة التي فقدتها ما لم يصدفها جرم سماوي او تنتقل الى فضاء تسخنه شمس اخرى  
ولكن اذا سلمنا بالمذهب الكهربي اني تغير كل ذلك لان ما يزول من قوة الدقائق المؤلفة منها الشمس يفرغها الى حرارة اما بالتقلص بفعل الجاذبية او بالتفاعل الكيماوي او بقوة اخرى تفعل بين دقائق المادة وتبدد الحرارة في الفضاء الواسع على مر الزمن كل ذلك لا يزيل القوة كلها من دقائقها بل ان المقدار الذي يزول منها شيء طفيف جداً بالنسبة الى ما يبقى مخزوناً فيها فالجسم كله تضعف قوته ولكن القوة المخدورة في دقائقه لا يزول منها شيء بل يقيم بعضها مع بعض ساكناً غير متحرك ويكون في كل دقيقة منها من القوة الداخلية ما لا تنادله

ثم هب ان احد علماء الفلك كان يرقب الكواكب فرأى كوكباً منها انبثق النور منه بظافة واشتعل واستحال الى غاز يضيء مدة ثم ينطفئ فانه يدهش لهذا الحادث العظيم ولكن الدقائق التي تتكون جواهر ذلك الكوكب منها تبقى على حالها وتبقى القوى التي تربطها بعضها ببعض غير مثلومة . والقوة العظيمة التي تزول من الكواكب باشتعاله لا تحسب شيئاً مذكوراً في جنب القوى الكامنة بين دقائق جواهره

والقوى التي نعلمها ونبني حسابنا عليها هي اضعف القوى الطبيعية . وما الالفة الكيماوية وقوة التماسك التي تلتصق بها الجواهر بعضها ببعض سرى اثر طفيف من القوة الكهربائية التي تحتفظ الدقائق من التجزؤه . والجاذبية العامة التي تنقلص بها المواد السديمية فتكون منها الشمس وسياراتها انما هي شيء لطيف بالنسبة الى قوتي الجذب والدفع اللتين بين الاجسام المكهربة وهاتان القوتان طافيتان جداً بالنسبة الى قوتي الجذب والدفع اللتين بين الدقائق الكهربائية المؤلفة منها الجواهر . وحركات جواهر المادة التي تسبب الحرارة وعلمها تنوقف الحياة وبها تتعلق اكثر الاعمال الصناعية في العصر الحاضر لا تعد شيئاً مذكوراً في جنب حركات الدقائق الاصلية التي تتألف منها الجواهر . والظاهر ان حركات الدقائق هذه بعيدة عن ان يصل اليها استعمالنا لانا نعانثون على الحد المرص اليها ولا امل لنا باستخدامها يوماً ما . فلا تدبر معابنا ولا تجر مركباتنا ولكنها لا تقصر عن ان تنبه عقولنا فان السماوات العلى قد راعت الناس وراقتهم من قدم الزمان فاعجبوا بها وعبدوها ولكن اذا كان التراب الذي تحت اقدامنا مؤلفاً من عوالم لا تعد ولا تحصى عناصرها في حركة دائمة فائقة السرعة ومع ذلك مرت الدهور ومستكر العصور وبقي توازنها على حاله فقرائب ما نراه بعيوننا من حركات اجرام السماء

ليست اعجب من غرائب ما ارانا العلم الطبيعي حديثاً ولو بعين الاستنتاج  
وسواء ثبتت هذه الصورة التي رسمتها لكم رسماً غير جلي او زالت في دورها كما زال غيرها  
من صور الكون ورسمت صورة اخرى بدلاً منها على السجل العلي فكأننا نسلم ان محاولة توحيد  
الطبيعة كما هو جار الآن لما يروق للعقول ويسر به المرء كما يسر اذا صدق في عقاب شاة  
ثم اطل على سهل فسيح الزحاب لتخلل الانهار وتناخه الهضاب . ولا اجسر ان اقول هل  
لهذه الرغبة في توحيد الكون وردة الى اصل واحد بسيط مسوخ عقلي فان البديهة لا تستلزم  
على ما اعلم ان يكون العالم المادي صوراً مختلفة لجوهر واحد لا تراكيب مؤلفة من ستين او  
سبعين عنصراً بسيطاً ولكن لماذا نسر بالرائي الاول ولا نسر بالثاني . فان العلماء كانوا دائماً غير  
راضين عن تعدد الاصول فحجوا بكل ما يدل على ان الجوهر الفرد مركب وان لجواهر  
الناصر كلها اصلاً واحداً تشترك فيه . وعندني ان هذا الميل النفسي ليس مما يقض الطرف  
عنه او يستهان به . فقد كان الفيلسوف جون مل يستخف بالذين يستصحبون التسليم ان الافعال  
لا تفصل من مكان الى آخر الا بموصل وكان يقول ان الاختيار يربنا انها تص من غير  
موصل فلماذا تقرض وجوده استلزماً او موافقة تقرض في النفس لا يريده دليل . هذا هو  
احتياج مل ولا رد عليه عندي . ومع ذلك فان اعتقاد قردي ان الافعال لا تتصل من  
غير موصل ادى الى اكتشافات بديعة ثبت عليها صانعا الكهربائية وما ترتب عليه الان من  
اصل المادة . والان لا يسلم العلماء بما استسهل مل التسليم به وهو ان الاجسام تعمل بعضها  
بعض من غير موصل بينها مع انهم لا يزالون مجهلون حقيقة التجاذب بين المواد  
فما هو هذا الميل الى توحيد العناصر والمواد كلها والاعتقاد بان لها كلها اصلاً واحداً  
ترد اليه . هل هو هوى في النفس يجب اطراحه او هو مفتاح لاسرار الكون لا يليق بالحكيم  
الاعضاء عنه . ذلك مما لا استطع البحث فيه الآن لانه توجد مسائل اخرى يستلزمها  
الرأي الجديد واريد ان اوجه نظركم اليها في الدقائق الباقية  
لامشاحة ان هذا الرأي الجديد في اصل المادة وحقيقتها يخالف اختيار الناس تمام المخالفة .  
قل لم ان الكرة الارضية التي نحن عاثون عليها والاجسام الآلية التي من نصيبنا الاتصال بها  
مادتنا في هذه الحياة الدنيا مؤلفة كلها من دقائق كهربائية متفرقة في الفضاء بينها ابعاد شاسعة  
جداً بالنسبة الى اقطارها فلا يسهل عليهم تصور ذلك الا بعد امعان النظر . وهو يخالف  
ايضاً الرأي الذي جرى عليه العلم حتى الآن وهذا الرأي هو ان صفات المادة على نوعين اولية  
وثانوية فالاولية كالحجم والشكل موجودة في المادة من غير التفات الى الناظر اليها والثانوية

كالحرارة واللون كان يظن أنه ليس لها وجود ذاتي مستقل وما هي إلا نتائج ناتجة عن فعل الصفات الأولية بشاعرنا وهنا خالف الرأي الاخبار

ثم اشار الخطيب الى نزاع الفلاسفة في هذا الموضوع وفي وجود المادة وقال ان العلماء لم يجارروهم فيه لان العلم يفرض وجود المادة وصفاتها الى ان قام اصحاب المذهب الجديد الذين يقولون ان الجواهر الاصلية التي تتألف المادة منها ليست مادية بل هي اجزاء صغيرة من القوة الكهربية فنفوا بذلك وجود المادة ولم يتقوا في هذا الكون غير القوة الكهربية. ورأيهم هذا في نفي المادة مبني على نتائج استنتجوها من الرأي الاول القائل بوجود المادة وذلك من المدهشات فان العلماء الطبيعيين يدعون انهم يتراكل ارائهم العملية على الاخبار وهذا الاخبار انما هو شعورنا بالكون المادي لكن النتائج التي اوصل اليها مناقضة له على خط مستقيم حسب الظاهر. اي ان ما اتصلنا اليه من معرفة حقيقة الاشياء مبني على مالا حقيقة له والصور العقلية التي نستخدمها في ايضاح هذه الحقيقة للغير منزعة من تخيلات لاحقيقة لها يتبناها العلم عن الاعتقاد بها وتامرنا الطبيعة باستعمالها

وصلنا الآن الى مسائل يجب ان يبحث فيها منطقيًا ولكن علم المنطق لم يبعأ بها فلا يلام رجال العلم لانهم مشتغلون باكتشاف الاكتشافات لا بتحليل المسائل الاساسية التي يقتضيها اكتشاف هذه المكتشفات. ولا يلام الفلاسفة الباحثون في ما وراء الطبيعة لان آراءهم تنوجه الى جهات اخرى ورغبتهم في حل فلسفة الكون ضعيفة. وكيفا حلت المسائل التي يبحثون فيها بنوع خاص فحلها لا يقرب المشاكل التي اشترت اليها من الحل الحقيقي ولا يبعدها عنه. فالعلماء الطبيعيون والفلاسفة الخياليون يبيدون عن البحث في هذه المسائل واما الفلاسفة الجريون فليسوا ببيدين عنها ولكنهم لم يحلوا ولا يظهر انهم فهموا انه توجد مسائل تستلزم الحل حاسبين ان مدار العلم انما هو البحث في الظواهر الطبيعية وانه يقضي ما يطلب منه اذا عرف الاسباب القريبة لان غرضه البحث عن نوايس الطبيعة لا عن حقيقتها واذا يبحث عن حقيقة المذاهب العلمية وكيفية الوصول اليها رأى ان البحث الاستقرائي الذي اعتمد عليه العلماء حتى الآن قليل الحقائق العلمية

ثم ان هناك امرًا آخر اهتم به كثيرًا ولو ظهر لي انه لا يهتم احدًا غيري. وهو ان معارفنا الطبيعية مبنية كلها على شعورنا. وهذا الشعور يقتنعنا بوجود العالم المادي ويرشدنا الى اوصافه ومقوماته لكن شعورنا هذا مبني على شاعرنا فالذي نظره لا يتوقف على المنظور فقط بل على العين الناظرة ايضًا والذي نسمعه لا يتوقف على السمع فقط بل على الاذن

السامعة أيضاً . غير ان العيون والآذان وكل الحواس نشأت فينا وفي اسلافنا من انواع الحيوان بالطريقة البطيئة طريقة الانتخاب الطبيعي . وما يصح على الشاعر يصح على القوى العقلية التي مكنتنا من ان نبني على مدركات الشاعر بناء العلم العظيم . ومدار الانتخاب الطبيعي النفع كما لا يخفى فما كان نافعا للتروع في جهاده لاجل البقاء حفظ وتقوى وما هو غير نافع فهو عبث ثقيل يزول مع الزمان . ومعلوم ان مشاعرنا ارتقت قبلما صرنا نستخدمها في البحث عن اسرار الحقائق الطبيعية بدهور كثيرة لان اكتشافاتنا في هذا الباب انما حدثت بالامس . فقوى الانتخاب الطبيعي الخالية من الادراك فعلت فعل المدرك المدبر في اعدادها مشاعرنا لادراك ما تدركه الآن وهي خالية من التدبير . فالصدفة العمياء قادتها الى تجهيز الانسان بالقوة الفسيولوجية والعقلية التي توهمه للباحث الطبيعية العالية . والعلم الطبيعي يدلنا على ان كل حاسة من الحواس وكل قوة من قوى العقل لا تساعدنا على الحرب والاكل واخلاف الدسل انما هي فضلة زائدة عن القوى التي تساعدنا على ذلك فلم نعط الشاعر للبحث العلمي ولا ارتقت قوانا العقلية من قوى الحيوان الاعجم لقياس الافلاك وقسمة الجواهر

ولمذاه الاسباب نجد ان ما يعتقد الناس من امر العالم المادي الذي هم فيه ناقص بل هو خطأ تام . فقد عاشوا كلهم حتى آخر القرن الماضي في عالم من الوهم واوهامهم التي يهيمنا النظر فيها الآن لا تلتقى بامور بعيدة او الهية فائقة الادراك بل بامور نراها ببيوتنا ونلصقها بايادينا — بامور الحياة العادية — الامور التي نخبرها وننظر اليها واثقين اننا نعلمها حق العلم . ولعل سبب ذلك ان وقوع هذه المحسوسات تحت ادراك الشاعر كان مانعا في طريق الجهاد لاجل البقاء بدلا من ان يكون مينا له او ان الكذب كان اتفق من الصدق او انه لم يكن في الامكان البلوغ الى نتائج احسن من هذه مع ما نحن فيه من نقص الاعضاء . واذا صدقت هذه النتيجة فهي تشمل غير الحواس من وسائل المعرفة اي انها تشمل قوى العقل ايضا . فان كان التشوه قد عجز عن ايجاد آلات يوثق بها لادراك الامور الاختبارية فكيف يمول عليه في تجهيز العقل بما يلزم له لاستخدام هذه الامور واستنتاج الاحكام العقلية منها

اعتبارات مثل هذه ان لم تكن قد ادجمتها ادماجاً يخرجها عن حد التهورم تدل دلاله قاطعة على عدم الانتظام في كل مذهب علمي عام يبنى على العلم الطبيعي وحده . وسعوا نطاق المعارف كما تشاؤون وارسموا صورة الكون على ما تريدون وردوا كل ما فيه من التخالفات الى صور الاثير المائل الفضاها واستقصوا تاريخه الى زمن تروأد الجواهر وبنوا كيف تفعل بها الجاذبية العامة فتكون منها السدم والشموس وكل كواكب السماء ثم كيف تجمعت هذه الدقائق في

كوكب منها وركبت المركبات الآلية ثم كيف صارت المركبات الآلية اجساماً حية وكيف ارتقت الاجسام الحية على اساليب مختلفة فتولدها فيها اخيراً نوع من الحيوان ارقى من غيره وبعد قرون كثيرة نشأ من هذا النوع حفنة من العلماء فالتفتوا الى ما حولهم ونظروا الى العالم الذي انشأهم وعرفوه وحكموا عليه. افعلوا ذلك كله فتكفروا قد اوجدتم العلم ولكنكم لا تكونون قد اوجدتم شيئاً يكفي لانتاع العقل تمام الانتاع لانه يبقى شيئاً لا تفسره هذه السلسلة المتتابعة الاسباب والنتائج تفسيراً مقنعاً وهو اصل المعرفة نفسها فان العلم الطبيعي يجب المعرفة نتيجة اشياء غير عاقلة لانه لا يعرف الا الاشياء غير العاقلة ولكنه يضطر ان يجب المعرفة شيئاً عقلياً والآن انتم العلم نفسه . فالصعوبة الاولى هي استخراج معتقدات من الاختبار ينقضها الاختبار نفسه . والثانية هي التوفيق بين اصل هذه المعتقدات وبين ما تدعيها من الصحة لاننا كلما زدنا استقصاء في تحليل اصلها زدنا شكاً في صحتها وكما زاد المذهب العلمي شمولاً زادت الصعوبة في اكتشاف الوسائل التي علمناه بها استحكاماً .

هنا الحد الذي لا يتعداه العلم الطبيعي ووراء هذا الحد سجاهل لا يستطيع اكتشافها وانما هي من نصيب الفلسفة . وهي ليست من شؤون هذا المجمع لاننا قد اجتمعنا لترقي المعارف في قسم من اقسامها الكبيرة فلا نقيدها بشؤون التخوم وتغيير الحدود التي تفصل عادة بين قسم وآخر .

وقد يقال اني لم اجر على هذه السنة التي سنتها بل تحطيت الحدود التي يشتغل ضمنها علماء الطبيعة . فان كان الامر كذلك فني العذر ومنكم الصبح ولقد كان غرضي الاول ان احرك في نفوس الذين مثلي ليسوا من علماء الطبيعة المخنكين الاهتمام بالمذهب الجديد الذي هو اوسع نطاقاً من كل المذاهب التي تدعي ان الامتحان يؤيدها . وان كان الغرور قد حثاني على الاشارة الى رأبي الخصري وهو ان العلم الطبيعي يزيد ميلاً في ارتقائه الى تفسير امور الكون تفسيراً غير مادي فالذين يوانقونني اقل من غيرهم لا يضنون بالمعنوعي

## سكة الحجاز

رأت الدولة العثمانية ان بلاد اليمن والحجاز شامعة عن مقر السلطنة ونبعث القوة وان بعض قبائلها لا تنفك تبدي نواجد الشر والشوز كما لاحت لها الفرص واحتببت الغزير فيتعذر الحال تسريح الجيوش اليهما مئات من الاميال برًا وبحرًا فارتأت منذ خمس سنين مد خط حديدي من دمشق الى مكة وهي مسافة لا تقل عن الف وتسعمائة كيلومتر ومدت منها منذ شهر تشرين الاول ( اكتوبر ) سنة ١٣١٦ ( ١٨٩٩ ) حساباً شرقياً اربعمائة وستين كيلو متراً . وقد احتفل في اليوم الاول من شهر ايلول ( سبتمبر ) سنة ١٩٠٤ اي يوم ذكرى جلوس الحضرة السلطانية بوصول الخط من دمشق الى معان بحضور وفد سلطاني رافقته في رحلته وشهدت مع الشاهدين ان هذا العمل من خير ما تم على ايدينا من الاعمال في هذا العصر . وهو ان لم يبلغ كاله والكمال الآن كالظفرة محال فيكفي انه مثال من جهد المقل وعنوان على الثبات والجد.

كان العقلاء يظنون باديء بدء ان دون انشاء الخط الحجازي خرط اقتتاد وشرط الحداد لما عُرِف من ان القوم اهل افوال لا افعال اذ قام لهم وعليهم من الماضي اكبر يرهان على وفاء المسم وضعف النفوس ولكن لم يلبث هذا الظن ان انقلب يقيناً وصار ما يعد من قبيل الخيال في حكم الحقيقة . وعلى نسبة ما كان يتم من الاميال والفراخ كانت تبدل لجة الناس شرقاً وغرباً في الحكم على هذا المشروع . ولولم يكن فيما مد الى اليوم من الخطوط الحديدية الاشارة الى ما في الامة العثمانية من القوة الكامنة والذكاء الفطري والعزائم التي متى دُعيت اجابت لكفي في اوثبات النضل والاشادة بالمحمدة . ولا عجب فالعثمانيون على اختلاف عناصرهم مؤلفون من ارقى السلائل البشرية التي استفاض ذكر اعمالها في القرون الغابرة . غري بهم وبلادهم ما علمت من الاعتدال وزكاء التربة ان يتعلموا اذا علموا ونجحوا اذا حسن تدريبهم وان لا تعجزم مضاهاة ارقى الشعوب متى صحت منهم العزائم وحدثت قيادتهم

وكيفما كانت الغاية من انشاء هذه السكة فقد تلقتها الامة بانها اسلامية وطنية يقصد بها تخفيف وعناء السفر عن حجاج المسلمين واستعمار البلاد . ولذلك بادر سكان الولايات العثمانية المسلمون فجمعوا او اريدوا على ان يجمعوا اعانات للاتفاق على الخط . وتلك اولاً بعض من جرت عادتهم ان يكونوا اول الباذلين في كل ما تريد الدولة القيام به من الاعمال لانهم كانوا في شك من اتمام العمل . ولما اخذت امارات الهمة تبدو حيناً بعد آخر اخذ الهند والمصريون

يشتركون في مدينة المعونة وقد جاد بعض المكتسبين بلبيرة وليرتين لكل كيلومتر ودفع بعضهم عشرة آلاف جنيه بدون ان يُعرف اسمه . واذ ابتقت الدولة انه يتعدّر انجاز العمل بالاعانات اخترعت طابع واوراقاً ذات قيم للاستعمال في بعض الاحوال والاشغال ووضعت مكساً على امتيازات المعادن التي تعطى في البلاد وعلى الاراضي الاميرية التي تباع واخذت لتقاضى كل سنة عشر شهر ايار (مايو) من المأمورين الذين تتجاوز مشاهرتهم خمسمائة قرش من المكيين والمكربين

للفظ لجنة عليا مقرها الاستانة وهي مرجع جميع الاعمال الادارية ويدها فض الكليات والجزئات وله لجنة فرعية مقرها دمشق ترجع في شرونها الى لجنة الاستانة . ويعمل في الخط نحو اربعين مهندساً نصفهم من السليين العثمانيين جي بهم اولاً بمثابة معاونين للمهندسين الاجانب فلما تبينت كفايتهم بفضل رئيسهم المسيو مايسنر الالماني وظهر له ان المهندس العثماني اذا مرّن تأهل لمد احسن طرز من الخطوط الحديدية رقى رواتب بعضهم ورتبهم فجعل مختار بك رئيساً للمهندسين في خط حيفا . ويقول الخيرون بانه سيكتفى بعد حين بالمهندسين العثمانيين في مد هذه السكة وغيرها اذ قد اصبح مهندسون بعد ان كانوا يدرسون الهندسة نظرياً في دار الهندسة بالاستانة يدرسونها اليوم عملياً . ولشدة تقاني المهندسين في التفرغ على العمل مع اجاته استحقوا ثناء الخاصة والعامة وأشعب القوم بغيرة مايسنر الالماني وشريدنر الفرنسي ومختار واحمد ونوري العثمانيين وغيرهم من الرؤساء الذين لهم الاثر المحمود في اخراج هذا العمل من القوة الى الفعل وكانوا قبل لا يعرفون كيف يسيرون فعدوا اليوم يفضل الدربة والبحث كاحسن الدارسين المقتنين

اذا علمت هذا صاغ لك ان تقسم المهندسين الى فئتين اجانب ووطنيين كلهم سواء سيف الهمّة وبعد النظر كما يقسم العملة الى قسمين قسم الجند النظامي الذي يتفرغ للعمل في الخط تحت نظارة ضباطه وقوادمه وقسم عامة العملة من وطنيين وغيرهم ممن يستخدمهم الملتزمون والمقاولون . وبلغ عدد العاملين من الجند اربعة آلاف وخمسمائة وكان يعمل نحو خمسمائة عامل من غير الجند من دمشق الى عمان فلما تجاوزت الخطوط الحديدية هذه المدرة صار يشتغل فيه نحو الف عامل من عملة الملتزمين اما عدد الحيوانات العاملة فلا يعلم بالتام . وياخذ الجندي وضابطه اجوراً وأعطيات تقبض رأس كل شهر فيتناول الجندي قرشاً صحيحاً عن كل متر مكعب من التراب حفرّاً واملاءً وثلاثة فروش عن المتر المكعب من الصخر المتوسط واذا زاد الصخر صلابة تقدر اجرة عامله عن كل متر من الثلاثة الى الستة فروش فيصيب الفرد والحالة هذه في الشهر نحو

جنيه عثماني . اما الضباط فقد خصص لهم لقاء كل متر يعمل تحت نظارتهم خمس بارات فيتناول رئيس المئة مثلاً من الستة جنيهات الى العشرة في الشهر بقدر ما لديه من الجند على حين لا يتجاوز راتبه الاصلي اربعة جنيهات

حدثني بعض الاجانب من عمال الخط قال ليس اصبر من الجندي العثماني على تحمل المشاق والقناعة بالقليل فالنرد يعمل عمل الجماعة من الغربيين وقد كانت يد من الخطوط الحديدية قبل الشهر الاخير كيلومتر ونصف كل يوم ثم زادت الهمة فصاروا يمدون كيلومترين ثم تدرجوا الى ثلاثة كيلومترات حتى دهش الاهلون واخذوا يشبهون الخطوط الحديدية في سرعة تنفيذها بانها سيل من حديد . وقد مزنت ايدي العملة كلهم فصاروا يمدون بعد الآن ثلاثة كيلومترات في النهار بدون ريث ولا عجلة . ويكلف كل كيلومتر ألفاً وخمسمائة جنيه عثماني يدخل في ذلك نفقات بناء المحطات واحواض المياه وغيرها من مرافق السكة وهي اقل قيمة تنفق على اقل خط حديدي في العالم . وكثيرة الموجود الآن في صندوق السكة من الدراهم واستكمال الادوات الاساسية عقدت نواصي الآمال بانها لا تنقضي ثلاث سنوات الا ويصل الخط الى المدينة

وبعد فان المسافة بين دمشق ومعان عشرة ايام لراكب المظايا من قصاد البيت الحرام وهذه المسافة هي ربع الخط بين معان ومدائن صالح والمدينة ومكة او ثلث الطريق بين دمشق ومعان ومدائن صالح والمدينة . وذرعها اربعمائة وستون كيلومتراً يقف القطار في ستة وعشرين محطة وهي : القدم . الكسوة . دير علي . السمية . جباب . خيب . المحجة شقرا . اذرع . خربة الغزالة . درعا . نصيب . المفرق . خربة السمرا . الزرقا . قصر عمان . لين . جيزة . صنعة . خان الزيب . القطرانة . الحسا . جروف الدرويش . عنيزة . معان . وقد قطعها القطار هذه المرة في ست وعشرين ساعة وفي المكنة ان يجنازها في عشرين اذا وقف وفقاً معتدلاً في المحطات ولم يفد السير بحيث يكون عرضة للخطر . قال احد الموظفين في الخط من الاجانب لو عملت هذه السكة من الخط العريض ( نورمال ) اي بعرض ١٥٠ سنتيمتراً قطع القطار ثمانين كيلومتراً في الساعة فاجتاز المسافة بين دمشق ومعان في سبع ساعات اما خطنا هذا وعرضه ١٠٥ سنتيمترات فلا يقطع قطاره اكثر من خمسة وعشرين كيلومتراً في الساعة هذا مع سهولة الطريق الا في النادر . ومن المقرر انه متى تمت الاعمال على محورها يمشي القطار اربعين كيلومتراً في الساعة . وسمعت بعض من له علاقة بالخط يقول ان الدولة فكرت اولاً في عمله عريضاً ولما حسبت نفقاته وجدتها ضمني نفقة الخط الضيق

فأخذت الثاني لأنه يقصد به ان يكون خطاً حريياً لا خطاً تجارياً وان يكن ينفع الخط بين حيفا ودرعا ودمشق ومعان في رواج التجارة والزراعة لأنه يسير في بلاد عمراتها طبعي

•••

من لم يلق نظراً بليغاً في اتجاه الخط وحتاياها 'يظن' ان الماء ناضب والحقيقة ان قلته محسوسة على اديم الارض ومخزون في بطنها وهو غزير من دمشق الى معان اذا حضرت له آبار ارتوازية او خزن في احواض وآبار ويوجد من معان الى مدائن صالح وهذا القسم الذي يعمل فيه الآن لا يتعدى المئة والخمسين كيلومتراً ويشعر امهات الآبار منه اما ماوراء ذلك من الكور الحجازية فالملأه فيه كثير . ولذلك سلكت الدولة في هذا الخط طريق الركب الشامي الى الحجاز لأنه اعمر من غيره وأكثر امراهاً بالطبع . حدثني احد الامراء ان سيف وادي سرحان على مسيرة اربعة ايام من محطة المحجة مياهاً غزيرة وان نهر الازرق يجري في تلك الانحاء ولا ينتفع به حتى الانتفاع وان الاهلين قد يسرون خمس ساعات لورود الماء كما هو الحال في عين حامر وراء محطة خيب فان اهل جوارها يقصدونها من الاقاصي للاستقاء وأنه كان طريق عجالات من بصري اسكى شام في حوران الى بصره العراق وكان على كل ساعتين محطة وبشر ما يستقي منه السفر . وفي قضاء السط انهار عدة كما في احصاء الحكومة كالاردن والزرقا ووادي شعيب ووادي السبر وبجات وعمان وحسبان تسقي اراضي تبلغ مساحتها نحو خمسمائة فدان فقط

هذا ما لفتته من الثقات عن حالة الخط الحاضرة . ولتائل هل يكون لهذه المسالك التي لم تدمشها الخطا ولا اهتدت اليها القطار من العمران بعد امتداد الخط الحديدي فيزرع في تلك الاصقاع الجرداء المرداء ما يجود فيها من ضروب النباتات والثمار وتقام ثم للصناعة مصانع وللتجارة اسواق وهل يؤثر هذا المشروع الاثر المطلوب في ثروة الاهلين ويمتعمهم بطم المدينة والراحة . نعم ان هذا سيكون ولكن لا في القريب العاجل شأن حركة الارتقاء في هذه البلاد فانها سائرة على سهل مناطة بالاتفاق والطبيعة لا بالتعمل واتخاذ الاسباب

وقد بدأ الاهلون في هذه الارجاد يدركون ماهية الربح وقيمة الكدح فترى بعض سكان البلاد للجائرة للخط يعملون في السكة مع العامل الاجنبي وباجرة تكاد تكون كاجرتو حتى ان الرجل الذي كان له عشرون جلاً لا يستفيد منها الا قروشاً معدودة في اوقات محدودة من السنة صار الآن بفضل غدوم ورواحه في اعمال السكة موسماً عالياً في الرزق يربح مئات التروش . وهكذا قل في سائر السوقة والباعة . اشترك في هذا الربح المجاورون للخط واصاب

سكان دمشق وبيروت والقدس وسائر بلاد فلسطين قسط وافر من هذه الارباح سواء كان من البياعات او المقاولات والالتزامات التي نشط بعضهم الى عقدها مع زعماء النظار على السكة وقد كانوا يتخوفون ذلك قبل فلما رأوا انتظام الاشغال وتأدية المطالب في حينها بدون مطل ولا الحاف اخذوا يلتزمون عشرات من الكيلومترات فيستفيدون ويفيدون ضمني مجلس وشيخ قبيلة الحويطات استدلت منه على ذكاء اهل البادية قال لما رأى الدولة مدت السلك البرقي في دمشق الى المدينة منذ نحو ثلاث سنين استنتج ان مئآت الافدنة الشاغرة الواقعة على طريق السلك في الناحية التي تنزلها عشيرته لا بد ان تملك وتسلم باسم احد في سجلات الحكومة فما كان منه الا ان خطط قسماً كبيراً منها وفتح بعضها على حين كانت بوراً معطلة حتى اذا مر الخط الحديدي من ناحيته ايضاً عمر له داراً فيها استضافه من الفلاة ولكن ما اسرع ما اشرفت على الغراب فان قبيلة اخرى بمن يتاصفه العداة حملت على تلك الدار فغربتها جملة حتى عادت فاعاً منصفاً . قال فلو كان لهذه البلاد امن لاطمان السكان وعمرها كل ارض مهله المأخذ قابلة للحرث والكرث . وحدث الثقات من العمال ان جميع الاراضي القابلة للفلاحة في لواء الكرك التي لا مالك لها ستضاف كماثالها الى الاراضي السلطانية الخاصة وتجعل ابعاد همة وتقائش منظمة كما ان بعض اعيان دمشق استصفوا مئآت من الافدنة ليستبثوها

لاجرم ان الخط الحجازي يمر على ما يعلم من محطاته ببلاد متوسطة في شهرتها وعمرانها ومن انعم النظر في مسيره من حيث الجملة يجد انه مر في ارض حوران وهي مخزن غلات سورية مشهورة بجودة حنطتها وطيب تربتها . وكان مركز لواء حوران اليوم وهو شمكين ( او شيخ مسكين المعروف عن اشمشكين ) مركز حكومة آل غسان قبل الاسلام على ما في احصاء الحكومة وفي مجسم البلدان ان بصري كانت قصبه هذه الكورة وما يرحت " قراها ومزارعها وحرارها " منازل العرب وقد ورد ذكرها في اشعارهم " ويمر الخط في لواء الكرك الذي أسس منذ زهاء عشر سنين وارضيه على ما في تقرير الحكومة مخضبة منبته وهي على طريق القوافل من مصر الى الحجاز وانه كان له شأن يذكر في القديم وقد جعل مركزاً للحكومة على عهد الصليبيين وقامت فيه بعض الحصون والقلاع ولما استولى عليه آل ايوب زاد حصانة وعمارة ولم يبق اليوم الا اثر طفيف من تلك القلاع والحصون بدل على ما كان في الاعصر السالفة من الزرقى

هذان اللواءان او الموكران هما من اعمال ولاية سورية فان يكن سمي لواء حوران باسم اقليم  
ولواء الكرك باسم مركزه فقيسما بلاد كان الاولى بها ان تكون مراكز الحكومة ويستقل مقر  
حكومة حوران من شمسكين الى درعا كما نقل من الشيخ سعد قبلاً وذلك لاهمية درعا .  
ولعل مركز الكرك ينقل على حسب الاحوال فيصير في معان مثلاً . هذان اللواءان وان كان  
اسمها فليل الشيوخ فان مساحتها كبيرة يلقى بهما لو كانا عامرين ان لا يكونا ولاية فقط  
بل ان يكونا ايالات قائمة برأسها وما اظن سويسرا اكبر مساحة من نصفها ولكن شتان بين  
بلاد استنبت فيها الصم الصلاب فاخصبت وامرعت وغرست في ذرى جبالها القاحلة وآكامها  
المصخرة الوعرة صنوف الاشجار وبلاد قد تير فيها اليوم واليومين والثلاثة ولا تجد فيها ماء  
تشرب منه ولا شجرة تستظل بها وبين بلاد تأوي ثلاثة ملايين من السكان المتورين كلهم وبلاد  
ليس فيها نصف مليون ما فيهم خمسمائة رجل يقرأ ويكتب حتى بركاكة زائدة . وبين بلاد  
اقل من ما فيها راحة دائمة وعيش خضال يقصدها اعظم سياح الارض للاستمتاع بمناظرها  
وراحتها وبلاد اقل ما فيها شن غارات تباع فيها الارواح بيع السماح وتفشى المخومات والموتقات  
بحيث عدت بين اهلها من السخب او المباح

اكثر سكان حوران اهل فلاحه يقيمون في الدساكر والقرى اما اهالي الكرك فمعظمهم  
بادية من اهل الوبر يتولون الخيام والآطام تفرقوا عشائر وتجمعوا عصابات وقد يغير بعضهم على  
بعض على ما جرت به عادة اهل البادية كلما بدوا عن الممورة . ومن عشائر حوران عشيرة  
زيد وتعرف ايضاً بعرب الجعاة تقيم في الجعاة من اعمال بصر الحرير وفتة من بني صخر يدعون  
الكعابنة وكذلك السرحان وولد علي والاشاجعة وها من عنزة والطيار والعيسى والسريدة  
والسرالملة والروالة والحريشة وفي لواء الكرك قبائل الحويطات وبني صخر وبني عطية والشرارات  
والجبالي ولم يجرث الارض من هؤلاء الا مشايخ بني صخر ثمكرا بعض حرب في انحاء السلط  
قوة واقداراً واخذوا يستغلونها وتلح هم وهم ابداً يتنقلون في الفجاج والسهول مسيرة ايام  
فيينا تروم قرب نجد او في سواد العراق اذا هم في البلقاء او حوران او ارض الشام تجازاً  
للكلاء وورود مناهل الماء

ولقد تبين لي ان سكان هذه البلاد وان فطر اكثرهم على حب الغارة ومد يد الاذاه  
بالحرام هم من اقرب الناس لقبول الحضارة وتأليف شاردم . والدهن الخالي يسهل نقش  
ما تريد طبعه فيه من الافكار اكثر من الدهن المملوء بالخرافات والتقاليد . خذ لذلك مثلاً  
اهالي لواء الكرك فقد عودم حسين حلي باشا متصرفهم الاول ان لا يرشوا العمال وشدد التكبير

عليهم في ذلك حتى خرج عليهم انزال فرسان الدرك واطعامهم فأتمروا بكل ما امرهم به إلا أنهم لم يرضوا إلا بأقراء من ينزل عليهم من اولئك الفرسان وتقدم الملف لدوابهم مخافة ان يرموا بالتح على حين من عادتهم ضيافة من لا صلة بينهم وبينه من ابناء السبيل بدون عوض ولا غرض . فمر بان الكرك والحالة هذه مثال الطاعة يتفانون في محبة الصادقين من الموظفين ولا يشكون إلا من سوء استعمال بعض مأموري المالية

كان لهذه البلاد حظ من المدنية قديماً يدرك ذلك من يجوب نواحيها ويستبطن خوافيها قال ياقوت والبلقاء كورة من اعمال الشام ووادي القرى تصبها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل . قال محمد بن احمد البشاري عمان على سيف (١) البادية ذات قرى ومزارع ورستاقها البلقاء وهي معدن الحبوب والاشهار بها عدة انهار وارجحة يديرها الماء ولها جامع ظريف في طرف السوق مسقف الصخر شبه مكة وقصر جالوت على جبل يطل عليها وهي رخيصة الاسمار كثيرة الفواكه غير ان اهلها جهال والطرق اليها صعبة وقال ياقوت والشوبك قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وابلة والقلم قرب الكرك وتذكر يحيى بن علي التنوخي في تاريخه ان يقودور الذي ملك القرم سنة ٥٠٩ هـ الى بلاد ربيعة من طي و هي باق والشراة والبقاه والجبال ووادي موسى فعمره ورتب فيه رجاله وبطل السفر من مصر الى الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن اه . وفي وسط قلعة الشوبك باب حجري قديم ينزل الى بئر فيد بثلاثمائة وستين درجة وقد استعصت هذه القلعة على ابراهيم باشا المصري لما اراد فتحها ابام حملته على سورية

اما وادي مومي المعروف عند الانجريترا فهو كما جاء في تقرير الحكومة على اربع ساعات ونصف من عمان مشهور باناره وعادياته المدهشة وفيه من النواويس والقصور والياكل ومدينة كلها من الصخر ما يدعو علماء الغرب الى شد الرحال اليها وقيل ان بعضهم نقل معه شيئاً من ثنائيلها وحجارها المنقوشة . وفي قضاء درعات وقد بني فيه الآن محطة عظيمة للسكة ومعمل لتصليح ادواتها - آثار حمام قديم جسم . وفي وادي الشلالة الفاصل بين درعا وعجلون من ناحية درعا مغاور قديمة على صورة غرف ومقاصير حربية بامتاع العيون بها وينبجس من هذا الوادي ماء عذب سائغ من مغارة حفرت في قطعة واحدة من الصخر منقطعة القرين وعرض هذه المغارة ثلاث اذرع وارتفاعها ست . انتهى معرباً عن تقرير الحكومة

(١) في القاموس السيف بالكر ساحل البحر وساحل الوادي او لكل ساحل سيف او انما يقال ذلك

وفي السلط عاديات كثيرة حربية بالنظر وفي هذا القضاء نحو ثلاثمائة قرية خربة وآثار  
مناور ومرسخ في عمان على شكل هلال في سفح جبل وحناك حصن على أكمة وسيف هذا  
القضاء أيضاً مياه معدنية كثيرة تصب كلها في بحيرة لوط وفي وادي معين حمام زرقاء معين  
ماؤه سخن اجاج معدني من جهة وعذب بارد من الجهة الثانية . وفي معين ومادبا وحسان  
آثار كثيرة ظريفة . وفي شمالي قضاء الطفيلة وادي العفرة وفيه مناجم حديد وحمام معدني  
ينسب الى سليمان بن داود ثبت نفعه للأمراض العصبية الى غير ذلك من الآثار المحيطة  
في صرخد واذرعات وبصرى وجرش وغيرها من البلدان التي كان لها مكانة من العمران في  
سالف الازمان

هذا اهم ما ينبغي ان يقال في السكة الحجازية وبلادها . بقي ان اشير الى الخط بين حيفا  
ودرعا فانقول ان الحكومة العثمانية لما رأت شركة سكة الحديد بين بيروت ودمشق وحموران  
الفرنسية تصعب في نقل ادوات السكة وتشتط في تقاضي الاجور ابتاعت سكة حيفا من  
صاحب امتيازها الذي عجز عن تمديدها بثمة وخمسين الف جنيه عثماني وكان مد منها تسعة  
كيلومترات وعمل منها ستون كيلومتراً من الاعمال الترابية ناقصة الأقبلاً . وسيكون طول  
هذا الخط من حيفا الى درعا مئة وخمسين كيلومتراً ومتى التصق الخطان الواحد بالآخر نتقدم  
حيفا ونقف بيروت عن رقبها تقرب حيفا من مصر والاسنانة واوروبا خصوصاً بعد تشييد  
مرفأ بحري في تلك المدينة الصغيرة الذي سيقام بايدي عثمانيين وعلى نفقتهم على مثال  
مرفأ بيروت

وقد بدىء بالعمل في هذه السكة في ايار (مايو) سنة ١٣١٩ شرقية فقدمت الى الآن  
ثمانون كيلومتراً وقد تجاوز التراب الكيلومتر الخامس والسبعين وما دعا الى التريث الا تأخر  
جسر اليرموك الحديدي في العمل الموصى عليه فيه واذا حضرت جسور هذا الخط وهي مئة  
اوسبعة كما ان اتفاقه (تول) ثلاثة وواحد في خط معان فالأمور ان تسيروا القطارات وتصل  
بدرعا في شهر نيسان (ابريل) القابل . اما المحطات التي يمر بها الخط فهي : حيفا . تل الشهاب  
عفولة . يسان . جسر الجامع . صباخ . الحمة . الكوية . تل الشهاب . درعا . نجر منحا  
حتى الآن اربع محطات وصرف على جميع هذا العمل خمسة وثلاثون الف جنيه عثماني ويقدر  
ما سينفق على هذا الخط وحده بثلاثمائة الف ليرة عثمانية يضاف الى ذلك ثمن الامتياز . وقد  
جرى التزام الخط كله ويعمل فيه الآن نحو ثلاثمائة جندي

وغير هذا الخط في ارض تخصبة للغاية ويقول بعض اهل النظر انها من اخصب ارض الله وفيها معادن كثيرة . هذا وحال الفلاح فيها على ضعف وخمول فما بالك لو عني باستنباتها على الطرق الحديثة وخصوصاً من حيفا الى مضيق الحمة وفيه مرج بني عامر واراغبي بيسان والقور واصعب ارض فيه على المرور وادي اليرمون الذي يعمل فيه الان ليل نهار وهو ممتد من مضيق الحمة الى تل الشهاب . قال احد الافاضل ومن عجائب هذا الوادي مياهه الكثيرة المترددة وغاباته الكثيفة التي لم تمسها يد . وفي تل الشهاب وزيزون ( ام القصب ) سبعة شلالات او ثمانية ارتفاع ائحدارها عشرات من الامتار تدار بها نحو عشرين رحى وتنفع لكل صناعة ويتأق استخدام هذه الشلالات في عمل محرك كهربائي ( دينامو ) لإضاءة المخطات البعيدة والقريبة بالكهربائية

والحمة مياه معدنية مشهورة منذ القديم تنفع الامراض العصبية والجلدية وهي احسن من حمامات كارلسباد في بوهيميا وحمامات برصة في الاناضول وحمامات حلوان مصر . فيها على ما روى الثقات املاح كثيرة نافعة تدفع عادية اكثر الامراض وتلائم حرارتها معظم امزجة سكان الارض فتبدأ تدريجياً من ٢٦ الى ٥٦ درجة بميزان ستغراد وشرهها يقوي المعدة ويسهل الهضم

وتجناز سكة حيفا بساحل طبرية في محطة صماخ ووادي الحمة وغير خاف ما لبركة طبرية من الاهمية التاريخية والدينية التي تستدعي السياح الى زيارتها ويقال انه متى تم الخط الحيفاوي تجعل شعبة من عفولة الى الناصرة تدر ثلاث ساعات فحياً بذلك فلسطين وبتنقل جانب كبير من التجارة اليها لاسيما اذا مدت شعبة من القدس الى عمان

ومضيق الحمة من اعمال جبل عجلون وحاضرة هذا الجبل اربد وكان اسمها في الاصل ايبلا او اربيل . وعلى مقربة من مكيس على ما ذكر المؤرخون مرصع للرومان ذو اسجار محكمة الصنع . وخرابة جرش المشهورة هي من اعمال عجلون ايضاً اثر عنها زوال الصنعة وجسامة البناء وهي اشبه بعاديات تدر وبلبك قيل انها عمرت زمن الرومانيين وان لم يثبت انها اشارة لمدينة قوم بعينهم . وفي اراضي شخية على ساعين ونصف من قرية مكيس مياه معدنية كثيرة تنفع في شفاء النقرس والامراض الجلدية ومن العجيب ان معظم الحمامات المعدنية في هذا الاقليم منبعثة من جانب القور الشرقي

وعلى الجملة فيجناز الخط الحيفاوي ما عرف قديماً ببلاد الأردن احد اجناد الشام الخمسة . جاء في معجم البلدان انها كورة واسعة منها القور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك قال احمد

بن الطبيب السرخسي الفيلسوف هما اردنان أردن الكبير و اردن الصغير فاما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية بينه وبين طبرية لمن عبر البحيرة في زورق اثنا عشر ميلاً تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فنجري في هذا النهر فتسقي أكثر ضياع جند الاردن فيما يلي ساحل الشام وظريق صور ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية وطبرية على جبل يشرف على هذه البحيرة . فهذا النهر اعني الاردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة واما الاردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب وفي وسط النور تسقي ضياع النور وأكثر مستغلتها السكر ومنها يحمل الى سائر بلاد الشرق . وعليه قرى كثيرة منها يسان وقراوا واريجما والموجاء وغير ذلك . وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويخضع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسقي ضياع النور وضياع البثينة ثم يمر حتى يصب في البحيرة الثلثة في طرف النور الغربي . وللاردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة جدر وكورة صفورية . وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك اه

وانت ترى أن البلاد التي دعيت بارض النور وقد يصح بان تسمى بلاد القاع او الفوطة هي الارض الواقعة بين جسر الجامع الى تل الشهاب وهي منخفضة عن سطح البحر من مئة متر الى مئتين ولذلك يُعَبَدُ من لم الفضل في التوفر على مد الخطوط الحديدية في تلك الكورة رغم فساد الهواء وحزونة هذه الارض وان لم تكن مساحتها طويلة كثيراً . والناظر في المصور المشهور أتفا يرى أن السكة الحجازية بعيدة عن ساحل البحر الاحمر وانه كان الاولى ان تصل السكة بالبحر الاحمر كما اتصلت بالبحر الابيض ويقال انه ستمد ناشطة او شعبة من معان الى خليج العقبة وهي لا تتجاوز مئة كيلو متر يبدأ بها بعد انجاز خط حيفا . والشائع ان كتاب الجند المرابطة في المدينة منذ مدة وصددها تسع كتابت سببها بعضها للعمل في الخط من مدينة الرسول على ما بينها وبين جونها وهي ينبع من البعد ( مائتا كيلو ) . وارتأى بعض المنتسبين لهذه الادارة ان البداءة من جدة الى مكة تزيد السرعة في العمل فان طولها لا يتجاوز خمسة وسبعين كيلومتراً ويمكن تعديده في سنة وتتمحصل نفعانه في سنتين او ثلاث من اجور النقل ويسهل تمديد الخط أكثر من سهولته من جهة الشام لوجود جدة على الساحل وبهذا النوع تكون قد مدت ام ناشطة للخط العام . ويقول العارفون انه اذا بدئ بالخط من المدينة كما هو الآن في حكم المقرر تصرف الدولة بدل القرش الواحد قرشين ونصفاً هذا ويرجى ان تدفع رواتب السرايا العاملة من الجند في اوقاتها على نحو ما تصرف الاعطيات لم ولعله لا نطمح حقوق المهندسين العثمانيين على ما عرف من اقتدارهم وغيرتهم

فيكون حظهم من الرواتب حظ الاجانب منها فليس من العدل ان ينال غير الوطني ثلاثة اضعاف راتب العثماني مع انه كما اكد غير واحد ليس دونه في الاجتهاد والمعرفة والاثربون اولى بالمعروف . وما ينبغي احلاله محل النظر تنظيم حالة الجنود العاملين في ما كلهم ومشاربهم وملايسهم ومسأكنهم حتى لا تكون البادية مقبرة لهم كما كانت في السنتين الماضيتين وقد هلك مئات منهم لقلة الوقاية وعدم العناية . قال بعضهم وليس لهذا النقص من سبب وفي مخازن الاستانة ومستودعاتها الكثير من حاجياتهم كما ان الاوامر قاضية بان تدر عليهم المشاهرات الاصلية فاخذت تصرف في نقل المؤونة لم التي لم يخصص لها ما يقوم بها . والحاجة ماسة ايضاً الى اقامة مستشفى تقال يمرض فيه العاملون في الخط ويقال انه سيقام مستشفى في معان وعساة يقام مستعم او حمام للعاملين . تخليق بين يعمل في التراب والشمس الساعات الطويلة ان يستحم مرتين في الاسبوع . ولو اُغفيت لجنة دمشق من مراجعة لجنة الاستانة في كل عمل تريده مما يؤدي الى تطويل احياناً يجلب بعض خلل اذا زادت السرعة في العمل

والغالب ان الدولة بعد انجاز السكة الحديدية ستسلمها الى شركة تجارية من حيفا فدرعا فحان ومن دمشق الى معان وتبقي ما وراء ذلك من الخط الى مكة على نفقتها يدار بايدي عمالها وموظفيها كما جرت في خط حيدر باشا وازيد سيف الا تناضول فانها لما استثمرت على نفقتها خسرت وثنا سلته لشركة حصرت نفقاته ووارداته أخذ الريح ينهال انهبالاً . هذا والناس في اكثر مدن سورية يستبشرون خيراً بارتباط اكثر مدنهم بعضها ببعض وخصوصاً البلاد الساحلية بالداخلية فدمشق متصلة ببيروت تغلب فالاناضول فالاستانة فياذا الى آخره ويومئذ بعض اهل النظر ان يركب الحاج بعد بضع سنين من الروم ايلي اي من تركيا اوربا القطار الحديدي فيمر بآسيا الصغرى فالحجاز لا يركب البحر اصلاً . وعسى ان تتم هذه الاماني كلها باتصال سورية بحاضرة الحجاز او شمالي جزيرة العرب بمجنوبيها او بلاد وصفها القرآن بانها « واد غير ذي زرع » ببلاد جاء في التوراة انها « تفيض لبناً وعسلاً » والله اعلم بما كان وما سيكون

محمد كرد علي

## قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبله)

## الفصل السادس والعشرون في الشركة

- تعقد الشركة عادةً إما على جميع الأموال<sup>(١)</sup> وإما على عمل أو مشروع واحد.
- (١) إن لم يقع اتفاق على تقسيم الربح أو الخسارة فالشركة على السواء وإن عيّن لكل نصيب قسّم الربح أو الخسارة على حسب التعيين الذي جرى الاتفاق عليه.
- (٢) يجوز بلا نزاع أن تعقد الشركة على أن أحد الشريكين يضع مالاً دون الآخر وإن يكون الربح مع ذلك مشتركاً بينهما. ويجوز أيضاً أن تعقد الشركة على أن أحد الشريكين يأخذ جزءاً من الربح ولا يطالب بالخسارة. ويراد بالربح ما يبقى بعد النفقات والتكليف.
- (٣) من المعلوم أنه إذا كانت الحصة معينة في إحدى حالتَي الربح أو الخسارة ومبهمة في حالةٍ أخرى فالحالة المبهمة تُقاس بالحالة المعينة<sup>(٢)</sup>.
- (٤) تبقى الشركة ما بقي الشركاء على النية التي بها عقدوا الشركة. مع ذلك إذا انكر أحدٌ بعشٍ ومخادعة الشركة ليستبد بالربح الحاصل يُعبر على جعل الربح مشتركاً لكنه إذا ربح من وجهٍ آخر فذلك الربح له<sup>(٣)</sup> وحده.
- (٥) تنسخ الشركة بموت أحد الشركاء. وإذا كانت الشركة معقودة بإرادة أكثر الشركاء فموت أحدهم يفسخها حتى ولو كان الباقون أكثر الأهمّ ما لم يكن قد وقع العقد على وجهٍ آخر<sup>(٤)</sup>.
- (٦) متى انعقدت الشركة على مشروع بعينه فمتى انتهى المشروع انتهت الشركة.

- (١) في الفقه الإسلامي الشركة اختصاص اثنين أو أكثر بعملٍ واحد وهي إما شركة املاك وإما شركة عقود وهذه على أربعة أوجه مفارقة وعنان وشركة وجوه وشركة صنائع. وشركة المناوضة أن يشترك الرجلان ويتوآيا في مالها وتصرفها ودينها وهذه تقابل الشركة في جميع الأموال عند الرومانيين.
- (٢) إن هذا موافق لما قاله الفقهاء من حل المطلق على المتبدد (الدر المختار).
- (٣) وفي الفقه الإسلامي «إذا مات أحد الشريكين أو جنّ جنوناً مطبقاً تمنع الشركة لكن في صورة كون الشركاء ثلاثة أو أكثر تنسخ الشركة في حق الميت أو الجنون وحده وتبقى بين الآخرين. وتنسخ الشركة ببيع أحد الشريكين لكن علم الآخر ببيعه شرط فلا تنسخ الشركة ما لم يكن فتح أحدها معلوماً للآخر (للجلاء).

- (٧) من البين ان الشركة تنفسخ حين تستصفي اسواها كلها <sup>(١)</sup> (اي حين تُضبط)
- (٨) اذا ركب الدين احد الشركاء وسلم موجوداته تنفسخ الشركة
- (٩) الشريك مسؤول لشريكه <sup>(٢)</sup> عن اعماله ولو بعله الخطاء وعلى الشريك ان يعنى وبيته باشغال الشركة مثل ما يعنى وبيته عادةً باشغاله الخاصة
- الفصل السابع والعشرون في الوكالة

(١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦) الوكالة تعقد على خمسة اوجه . الوجه الاول لأجل العاقد فقط . والثاني لأجل العاقد ولأجلك . والثالث لأجل ثالث فقط . والرابع لأجل العاقد ولأجل ثالث . والخامس لأجلك ولأجل ثالث . فان كانت لأجلك فقط فالوكالة كلا وكالة وهي بان تكون مشورة اخرى من ان تكون وكالة . هذا ولا يترب عليه التزام . من يأمرك ان تقرض زيدا مالاً فهو مسؤول او ملتزم بهذه الوكالة . وذلك انك لم تقرض زيدا المال الا على وجه ان يعطيك الامر

- (٧) الوكالة فيما يصاد الآداب المحمودة غير ملزمة
- (٨) لا يحق للوكيل ان يتخطى حدود الوكالة <sup>(٣)</sup>
- (٩) تبطل الوكالة اذا ردّها الوكيل قبل ان يباشر شيئاً من اعمال الوكالة
- (١٠) اذا توفي الموكل او الوكيل والوكالة بجاملها انسخت الوكالة <sup>(٤)</sup> ولكن اذا اتفقت الوكالة والموكل قد مات وانت لم تعلم بموته جاز لك التصرف بنص الوكالة
- (١١) قبول الوكالة وردّها اختياري . فان قبلها التزم ان يقوم بها . والا ردّها اسرع

(١) وفي شرح القنوري « اذا ملك مال الشركة جميعه او احد المالكين قبل ان يشتري شيئاً بطلت الشركة لانها تعينت هذين المالكين . فاذا ملكا مات المحل وفي ملك احداهما بطل في المالك لعدموه لان صاحبه لم يرض ان يعطيه شيئاً من ربح ماله . وان اشترى احداهما بماله وملك بعد مال الآخر فالمشترى يهبها على ما شرط لان الملك حين وقع وقع مشتركاً بينهما لتبام الشركة وقت الشراء فلا يتغير الحكم بهلاك المال الآخر بعد ذلك » (٢) الشريكان كل واحد منهما أمين الآخر . مال الشركة في يد كل منهما في حكم الوديعة فاذا تلف مال الشركة في يد واحد منهما بلا تعدد ولا تقصير فلا يكون ضامناً حصه شريكه (المجلة المادة ١٢٥٠)

(٣) هذا مطابق لما جاء في الفقه الاسلامي قال في المجلة في (المادة ١٤٦٩) اذا تبذرت الوكالة تبذير فليس للوكيل مخالفة (٤) ومثله ما جاء في المادة ١٥٢٧ من المجلة ينزل الوكيل بوفاء الموكل . ولكن اذا تعلق به حتى النير لا ينزل وفي المادة ١٥٣٠ تبطل الوكالة بمجنون الوكيل او الموكل

ما يمكن ما لم تعارضه أسباب قانونية تحول بينه وبين المبادرة الى ردها<sup>(١)</sup>

(١٢) يصح ان تعقد الوكالة مؤجلة الى أجل ما ويصح ان تعقد معلقة بشرط<sup>(٣)</sup>

(١٣) اعلم ان الوكالة ان لم تكن مجانية تحولت عقداً آخر والمكافأة الموعودة تجعلها اجارة

### الفصل الثامن والعشرون في العهود المبنية على شبه العقد

لننظر في انواع العهود المبنية على شبه العقد

(١) اذا ادار زيد اشغال غائب صارينهما اعمال متبادلة تسمى الاعمال التجارية فمالك

الشيء حق اقامة الدعوى على ذلك الذي تصرف في اشيائه وبلدير الاشغال ان يدعي على

المالك وكلتا الدعويتين تحصل بدون وكالة . وذلك متى تقدم الواحد ليدير اشغال الآخر .

وكما ان من يدير ادارة صالحة له حق على من كان يدير لاجلهم كذلك عليه ان يقدم

حساباً عن تصرفه وادارته . وعليه ان يبذل غاية التحوط في ادارة اشغالهم

(٢) الاومياة مسؤولون عن اعمال الرصاية . وذلك بشبه العقد . وفي هذه الحال

الدعاوي متبادلة (اي لكل من الاومياة والقاصرين ان يدعي بعضهم على بعض)<sup>(١)</sup>

(٣) متى كان شيء بدون عقد شركة مشتركاً بين عدة ملاك فكل من هؤلاء الملاك

مسؤول عند الآخر بسبب هذا الشيء تبعاً للتقسيم العمومي لانه احرز وحده ثمار الشيء

او لأن شركته في الملك اتفق وحده النفقات اللازمة لهذا الشيء نفسه فهو مطالب بذلك

(١) وفي اللغة «اذا عزل الوكيل نفسه يلزم عليه ان يعلم الموكل بعزله . وتبقى الوكالة في عهده الى ان

يعلم الموكل بعزله (المادة ١٥١٠) (٢) كذا في الفقه الاسلامي . فاذا وكل زيداً واستنى اقراره

عليه جاز الاستثناء ومن ثم فلا يصح امرار الوكيل على الموكل في هذه الصورة . ولو قال وكلتك ان تبيع دواقي

في شهر نيسان وقبل الوكيل ذلك يكون وكيلاً بطلول الشهر المذكور . واما قبل حلوله فليس له ان يبيع . ولو

قال وكلتك ان تبيع ساعتى هذه بالث قرش تكون وكالة الوكيل مقبلة بعدم البيع باقل من الف قرش

(الطبعة في باب الوكالة)

(٣) هنا مماثل لما في الفقه الاسلامي وفي الاشياء «يقبل قول الوصي فيما يدعيه بلا بينة الا في اثني عشرة

مسئلة . ادعى قضاء دين الميت او ادعى قضاءه من ماله او ان اليتيم استهلك ماله آخر فذبح ضائه او اذن

له تجارة فركبه دينه فقتضاها عنه . او ادعى خراج ارضه في وقت لا يصلح للزراعة او جعل عبده الاتق او

فداء عبده الجاهلي او الاتفاق على محرمه او على رفقته الذين ماتوا او الاتفاق عليه ما في ذمته وكذا من مال

نفسه حال غيبه ماله واراد الرجوع او ان يفر مع ثم ادعى انه كان مضارباً فلا يكون له في الرجوع شيء الا

ان يشهد عند التصرف انه بصرف فيه بالمضاربة . والاصل ان كل شيء كان الوصي ملطاً عليه فانه يصدق

بذمته اذا لم يكذب الظاهر واما ما لا يكون ملطاً عليه فلا يصدق فيه . انه بصرف

(١) يشبه العقد

- (٤) والأمر كذلك في حق من هو مسؤول لشريكه في الارث من اجل هذه الاسباب نفسها وذلك جرياً على سنة تقسيم الميراث العائلي
- (٥) الوارث يُعتبر مسؤولاً يشبه العقد عن الشيء الموصى به
- (٦) كذلك من يؤدّي له خطأ ما ليس له يصعب مديوناً يشبه العقد
- (٧) ان القدماء قرروا انه في الدعاوي التي يعظم فيها الذنب بملّة الانكار لا يجوز ان يعاد ما كان قد دُفع بدون وجوب ولا استحقاق واما قانوننا فقد قطع كذلك فيما يتعلق بالوصايا فقط والودائع المتروكة للامان المكرّمة

الفصل التاسع والعشرون في بأي الاشخاص يكون لنا حق الاكتساب

اعلم اننا نكسب لاقتنا باقتنا ومن تحت ولايتنا بحيث ان ما يكتسبه العبيد يصير ملكاً خالصاً لنا . وما يكتسبه الاولاد بالعمل تكون غلته للاب . وتبقى عينة ملكاً للابن . والاب يتصرف مع ذلك في الملك ويديره<sup>(٢)</sup>

(١) نكسب لاقتنا بالاحرار وبالعبيد الذين غلّكهم بنية سليمة متى كسبوا شيئاً بهملمهم او كسبوه باستعمال ما غلّكهم

(٢) نكسب على هذا الوجه نفسه بالعبد الذي لنا غلّته او استعماله

من المقرر ان العبد المشترك بين عدة موالٍ يكتسب لهم على نسبة حصصهم في رقبته الا اذا اشترط او متى قبل بالتسليم لواحدٍ منهم باسمه لانه حينئذٍ يكتسب لهذا وحده . واذا اشترط العبد باسم احد اسياده قائماً كسبه لمن امره بذلك منهم

الفصل الثلاثون في بأي وجه يزول الالتزام ويطلق العبد

يزول العهد ويطلق الالتزام برفاه ما يجب وفاؤه ورد ما يجب رده . او متى رد المديون شيئاً مكان آخر يرضى الدائن . ولا فرق فيما بين يفي فان وفي المديون الاصل يبرئ الكفلاء

(١) الملك المشترك متى احتاج الى التصبير والترميم بحرفة اصحابه بالاشتراك على مقدار حصصهم . اذا عمر احد الشريكين الملك المشترك باذن الآخر وصرف من ماله قدر ما معروف فله الرجوع بحصة شريكه واذا عمر بدون اذن من الشريك او من المحاكم يكون منبركاً يعني ليس له ان يرجع على شريكه بمقدار ما اصاب حصته من المصرف سواء كان ذلك الملك المشترك قابل التمسك او لم يكن (المجلة)

(٢) لاختلاف في هذا بين القهين الا فيما يكتسبه الابن ففي الفقه الاسلامي ما يملكه الابن بماله فله حصة وثلثه

وان وفي الكنفيل يرى الاصيل<sup>(١)</sup>

(١) ان العهد يزول بالتراضي. وهو وفاة وهمي وهو لا يبرئ الا من العهود المتعقدة بالقول دون غيرها على ان العهد او الالتزام الشكوك بسبب آخر يتحول شرطاً وبطل بالوفاء الوهمي

(٢) اذا دخل شرط في عهده ما يجوز ان يتقلب العهد عهداً قولياً وان يبطل بالتراضي  
(٣) زد على ذلك ان الالتزام يبطل بتغيير العهد ولا جرم ان تداخل مديون جديد يوجد التزاماً جديداً. والتزام العهد الاول ينتقل الى الثاني فيزول ولو كان العهد الثاني عهداً باطلاً. متى تعهد عن عهد فالملتزم الاول يستمر ابداملتزماً على هذا الوجه عينه. واذا تعهدت عن الشخص الذي كان ملتزماً لك فتغيير العهد لا يتم الا اذا دخل شيء جديد في العهد الثاني. وذلك كأن يضاف او يسقط عهد او عهلة او كنفيل. واما قانوننا فقد صرح ان تغيير عهده سابق لا يقع الا بقدر ما يوضح المتعاقدان  
(٤) العهود المتعقدة بالتراضي تغل بالتراضي<sup>(٢)</sup>

## الكتاب الرابع

### الفصل الاول في تبعات الجناية

بقي علينا ان ننظر في تبعات الجناية وشبه الجناية — كل ما يتأتى عن الجناية مثل السرقة والاخلال والضرر والاعتداء

(١) السرقة اخذ الشيء لنفسه باغداع او استعماله فقط او وضع اليد عليه بقصد الانتفاع به  
(٢ و ٣) السرقة ضربان صريحة ومترفة فالسارق الصريح هو الذي يؤخذ حال مباشرة

(١) لا جرم ان هذا منطبق كل الانطباع على احكام الفقه الاسلامي. لكن في شريعة مرمي تبرا ذمة المدينون العبراني اذا جاءت السنة السابعة سنة الابراء وان لم يفسد ما عليه لما جاء في الايتين ٢ و ٣ من الفصل ١٥ من سفر تثنية الاشتراع. كل صاحب دين فليبرئ صاحب ما افرضه لا يطالب صاحبه ولا اطاء اما الاجبي فطالبه

(٢) وذلك كالبيع والاجارة والوكالة والشركة فاذا اتفق المتبايعان على نسيخ البيع اشترج. ونسيخ البيع على هذا الوجه يسي عند الفقه اقالة الا ان الاقالة لا تصح ما لم يكن المبيع قائماً او موجوداً في يد المشتري وقت الاقالة فان كان المبيع قد تلف فلا تصح الاقالة. وكذا اذا اتفق المؤجر والمستأجر على حل عند الاجارة او الوكيل والموكل على نسيخ عند الوكالة او الشريكان على ابطال الشركة فنصح كل هذه العقود باطلة وهذا ما لا يختلف نيو الفقه الروماني عن الفقه الاسلامي

السرقة والذي يُقبض عليه في مكان ارتكاب السرقة ومن وهو لم يزل قابضاً الشيء ينظر  
او يقبض عليه من المالك او من ابي كان قبل ان يصل الى حيث يقصد ان يحمله او يودعه.  
والسرقة التي لا تظهر سرقة مستترة

(٤ و ٥) عقوبة السرقة الصريحة هي ان يرُدَّ اربعة امثال المسروق وعقوبة السرقة  
المستترة ان يرُدَّ مثلاً المسروق (١)

(٦) السرقة ترتكب متى أخذ مال الغير بدون ارادة مالِكِه

(٨ و ٧) قد تُقرَّر ان من يتصرف في المستعار غير التصرف المعين عند الاستعارة يرتكب  
السرقة ولكن بشرط ان يعلم المستعير ان تصرفه ذلك مخالف لارادة المالك وانه لو علم المالك  
بذلك لما كان يأذن فيه . كما انه لا توجد سرقة اذا لم تقصد السرقة فمن يستعمل العارية  
استعمالاً مضاداً لارادة المالك والمالك مع ذلك لا يرفض هذا الاستعمال فقد تُقرَّر ان ذلك  
ليس بسرقة

(٩) يسرق احياناً من ابناء الاحرار

(١٠) كذلك قد يسرق المرء شيئاً المخصص به

(١١) من يسرق بالسرقة ويؤمن على ارتكابها يؤخذ بها . واذا سهل امره ارتكاب  
سرقة بدون قصد يكون مسؤولاً في ذلك فعلاً . واما من ليس له في ارتكاب السرقة الا  
الحث عليها والتجشمة على اتيانها فلا يؤخذ بها

(١٢) من يختلس من أصوله ( كأبي وجدوه ) ومن مواليه شيئاً فقد ارتكب السرقة  
لكن لا يترتب على ذلك دعوى السرقة حيث لا يجوز ان تقام بينهم دعوى ولا بيلة من المثل (١٣)

(١) ان اللغة الابلامي لم يذكر السرقة هذا التفسير ولا رتب عليها مثل هذه العقوبة قال في شرح القنوري  
« اذا سرق البالغ العاقل الناطق البصير ما قيمته عشرة دراهم مضروبة او غير مضروبة من حرز ( وهو ما  
يجب وصول يد الغير سواء كان بناه او حافظه ) لا شبهة فيه ولا تأويل بجرته واحدة ائخذ المالك ام تعدد وجب  
عليه القطع » والقطع منصوب عليه في التران قال والبارق والسارقة ناقصاً أي يدها . واذا قطع البارق  
والعين قائمة في يده ردّها على مالِكها ليقامها على ملكه وان كانت هالكة لم يقبض . وعقوبة البارق في شريعة  
موسى والناصب وجاحد الوديعة والامانة والضالة ان يرُدَّ الشيء بعينه ويريد عليه خبزاً وبطية للذي هرقه  
( سفر الاحبار النصل ٦ والآية ٤ و ٥ )

(٢) هذا يشبه قول النتهام « ومن سرق من ابيه او ولده او ذي رحم محرم منه لم يقطع وكذلك اذا  
سرق احد الزوجين من الآخر او العبد من سيده او من امرأة سيده او من زوج سيده » ( شرح القنوري )

- (١٣) حتى اقامة دعوى السرقة لمن له الانتفاع من حفظ المروق ولو لم يكن مالكه<sup>(١)</sup>
- (١٤) من ثم ينتج ان للدائن حقاً ثابتاً على اقامة دعوى السرقة عند سلب الرهن ولو كان الغريم قادراً على الوفاء
- (١٥) اذا سرقت الثياب المثلثة للقصار لكي يبيضا او يحفظها او لغياط لكي يرفأها بأجرة مسماة فاقامة دعوى السرقة للقصار او لغياط لا للمالك اذ لا تقع له بذلك فله ان يطالب باسترداد شئيه بدعوى الاجارة . وقد تقرّر ان الذي ينتصب خصماً في دعوى السرقة هو القصار او لغياط ان ضلّيعين بالوفاء . والا فالدعي ينتصب خصماً في دعوى السرقة انما هو المالك نفسه لان النفع انما هو له<sup>(٢)</sup>
- (١٦) ما قد قيل في القصار و لغياط كان القدماء يرون ان من الواجب ان يقال في المستعير غير أنّا تجرّزاً وتجوّطاً قد اصلحنا هذه المادة وخبرنا المالك المعير بين اقامة دعوى العارية على المستعير وبين اقامة دعوى السرقة على السارق لكنه عقب ان يختار احد الامرين فليس له ان ينتقل من دعوى جنائية الى اخرى<sup>(٣)</sup>
- (١٧) ليس الوديع بضامن للوديعة لكنه يضمن ما يقع من الضرر بتقصيره وتعديده .
- (١٨) ان غير البالغ يحكم عليه بالعقوبة اذا ارتكب الجرم بفهم .
- (١٩) ان دعوى السرقة تنحصر في طلب العقوبة . واما المالك فله فوق ذلك المطالبة بالشيء المروق واسترداده<sup>(٤)</sup>

### الفصل الثاني في الاشياء المنصوبة

من ينصب مال احد<sup>(٥)</sup> نعم عليه دعوى السرقة على ان القاضي يوجد دعوى خاصة يقال لها دعوى النصب نسبة الى هذا الجرم وهو غضب المروق . وتعمل اربعة امثال المنصوب

- (١) هذا موافق لما جاء في الجلة ونصه « اذا غضب الوديعة او المستعير او المأجور او المرهون فللوديعة والمستعير والمأجور والمرهون ان يدعي بأولئك على الغاصب فقط ولا يلزم حضور المالك وليس للمالك ان يدعي وحده بأولئك ما لم يضر هؤلاء » (٢) ليس هذا التيد في الفقه الاسلامي
- (٣) ان قانون يوستينيانوس هنا يخالف لما في الفقه الاسلامي كما رأيت فيما علمته على المادة (١٦)
- (٤) هذا الحكم ايضا يخالف لما ورد في الفقه الاسلامي على ما علمت
- (٥) النص شرعاً اراه يدعته يدع مطلة في مال منقول محترم بغير اذن مالكه لا يجزئ فاستخدام العبد وتحميل الدابة غضباً

في السنة (١). وإذا انقضت السنة يرد المصوب فقط . وفي اربعة امثال المصوب تدخل قيمته ( اعني يرد المصوب مع ثلاثة امثاله )

(١) لانقام هذه الدعوى الا عند الغصب او الاخذ بنية رديئة فمن يرى نفسه مائكاً لما غصبه وهو يعتقد انه مأذون لذلك أن يأخذ ولو غصباً شيئاً من الواضع بدءاً عليه يجب ان يفتنر له . مع ذلك مقرر انه لا يردن لاجل ان يغصب حتى ولا الشيء الذي يظنه له . فان خالف هذه القاعدة بقصد ملكية شيئه الذي اتزع غصباً من حو في بدو . وان لم يكن الشيء المصوب له فعلياً عقب رده . تأدية قيمته بحسب تمييزه

(٢) تقع هذه الدعوى سواء كان الشيء جزءاً من الاملاك او لم يكن لكن بشرط ان تكون له علاقة بالاملاك . ولا بد ان تقول ان عامة الاحوال التي يخفي فيها اختلاس الشيء تُعطي سبيلاً لدعوى السرقة وتقع في هذه الاحوال نفسها الدعوى التي سبق لنا الكلام فيها الفصل الثالث في شريعة اكويليا (٢)

ان دعوى الضرر المسببة عن التعدي مقررّة في الباب الاول من شريعة اكويليا وهذا نص ما هناك ان احد قتل تعدياً عبد الغير او دابته يحكم عليه ان يؤدي لمولى العبد وصاحب الدابة اعلى قيمة كانت لها تلك السنة (٣) «

(١ و ٢) بعد قاتلاً من يقتل من دون حق . من يقتل لهما وقد سدّ عليه باب التخلّص

(١) في الفقه الاسلامي يجب على الغاصب ردّ عين المصوب في مكان غصبه لفاوت التيم باختلاف الاماكن أو ردّ ثلوه ان ملك وهو متي . وان انتطع الثل قيمته يوم المصومة اي وقت القضاء وعند اي يوم يرد المصوب وعند عهد يوم الانتطاع وقد عرّكت الجلة على قول اي يوسف وتجب التيم في التيم يوم غصبه اجماً وفي الجلة « ان صادف صاحب المال الغاصب في بلدته أو غرى وكان المال المصوب معه فان شاء صاحبه اشردّه . وان طلب ردّه في مكان النصب فمصاريف تليته وموارة ردّه على الغاصب »

(٢) كان سنة ٦٦ قبل الميلاد واشتهر بنصاحته القضائية ويعلم الفقه وهو صني شيشرون وخرّج مدرسة

سيوس سينولا (٣) هذا موافق لمنعب الشافعي فعنده لا يقتل الحر بالعد ويتخالف للمعاب الي حنيفة قال في الدر المختار « يقتل الحر بالحر وبالعد » وفي رد المحتار « ولنا اطلاق قولوه تعالى ان النفس بالنفس فانه ناسخ لقولوه تعالى « الحر بالحر » وقد جرى ابر الفخ البني على منعب الشافعي فقال

خلوا بيدي هذا الغزال فاته  
ولم اربح بهي مقلتيه على عهد  
ولا تظنوه اني انا عبده  
ولم اربحاً قط يقتل بالعد

فردّ عليه بعض الحنفية بقولوه

خلوا بيدي من رام تظني للظنوه  
وقودوا به جيراً ان كنت عبده  
ولم يخش بطش الله في قاتل العمد  
ليعلم ان الحر يقتل بالعد

مئة قدم اللعين هدره<sup>(١)</sup>

(٣) لا يؤاخذ من يقتل عرضاً ان لم يقع ذلك بتقصير من جهته<sup>(٢)</sup>

(٤) وجاء عليه فان قتل من يلعب او يتفرغ برمي السهام عبداً وهو مارة فان كان هذا الحادث صادراً من جندي في المكان الذي اعيد فيه التفرغ على الرماية فقرر الله لا جرم عليه . وان حدث مثل هذا الحادث من رجل ليس بجندي يؤاخذ بجنايته

(٥) متى قتل الحطاب عبداً عابر طريق بسقوط فرع من الشجرة فان وقع هذا الحادث على طرف الطريق والحطاب لم يصح لينبهه كان مستوجبا العقاب لتقصيره (متأني البقية)

## باب المناظرة في المظالم

قد رأينا بعد الاختيار وجوب فتح هذا الباب فتفتاة ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتضيئاً للادمان . ولكن المهمة في ما يدرج فيه على اصحابه نفس برالمنة كولو . ولا تدرج ما خرج عن موضوع المتكلم ونراعي في الادراج وعدم ما يأتي : (١) المناظر والتظير مشتقان من اصل واحد فمناظره نظيره (٢) المناظر من المناظرة التي يراد بها المناظرة . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيم كان الممتزم باغلاطوا اعظم (٣) خبر الكلام ما نقل ودل . فالملامات الوافية مع الايجاز تستخرج على المظالم

## بورت آرثر والحرب الحاضرة

سيدي الفاضل

عثرت في الجزء التاسع من مقتطفكم الاغرض على مقالة ضانية في " بورت آرثر والحرب الحاضرة " لجناب م . ع . ج كشف بها القناع عن كثير من الحقائق المتعلقة بالشرق

(١) وكذا في الفقه الاسلامي . قال في الحانية « رأى رجلاً يسرق ماله فصاح به ولم يهرب . او رأى رجلاً ينقب حائطه او حائط غيره وهو معروف بالسرقة فصاح به ولم يهرب حل له قتله ولا فصاص عليه » وفي الحاشية عن النير « استنقله المصنف ومعه مال لا يساوي عشرة حل له ان يقاظهم لتولوه (ص) فاقبل دون مالك . واسم المال يقع على القليل والكثير »

(٢) وموجب هذا في الفقه الاسلامي الكفارة والدية على العاقلة وفي الدر المختار « والثالث خطأ وهو نوعان اما خطأ في ظن الفاعل كان برمي شخصاً ظنه صيداً او خطأ في نفس الفعل كان برمي غرضاً او صيداً فاصاب آدمياً او رمي غرضاً فاصاب ثم رجع عنه او تجاوز عنه الى ما وراءه فاصاب رجلاً او قصد رجلاً فاصاب غيره » . واما عند اليهود فيهرب الى احدى مدن الخليل كما في الفصل ٤ من سفر التنية

الاقصى ونسبته الى اوربا . وقد ذكر في عرض الكلام اتباه اليابانيين من غفلتهم الشقية حتى بلغوا منزلة ارقى الدول قوة ومنعة راجع صفحة ٧٦٥ . على انه لوى عنان البحث الى التبريع بهم لانهم اقتحموا حرب الروس وحكم عليهم بالجهل والبطش والاشذاع والبطر والتهور بمحمولين برباح الاهواء البريطانية حاسبا ان البريطانيين حملهم على كره الروس كرهاً شديداً ودفنهم الى حرب وبيلة العاقبة . ومواقع النظر في هذه المقالة عديدة منها

اولاً انكاره على الانكليز الاعجاب باليابان مع ان ذلك لم ينحصر في الانكليز بل يشاركهم فيه جميع الامم الراقية ومنهم الاميركان والفرنسيس والالمان

وثانياً ايماءه الى ان الامة الانكليزية اجمع تصدت التفرير بالامة اليابانية حتى لم يثالك اللورد سالسبري مجازاة لامته ان كتب بمدح جنودهم . وهذا الفكر من اغرب صور الخيال ان امة برمتها اجمعت على خداع امة ناهضة حديثاً وتطويحها في مقامر التهلكة . وقد نسي ان في الامة الانكليزية الوفا من افاضل الانتباه يتكرون الحرب ويحرمون الاشتراك فيها وفي كل مداخلة سياسية . هذا عدا ما نعلمه عن الامة الانكليزية انها الاولى في حب الخير وخدمة الانسانية في ام الارض . ومن الامور المستحقة الالتفات انه جعل مدير دفة مياستها متقادماً لاميال امتها لان الامة محمولة بفرض مياستها فتأمل

وثالثاً ان الامة اليابانية انطلقت عليها حيلة الانكليز فحملت كتابات الانكليز في قوة اليابان ومنعتها بحمل الحقيقة والصحة فترومت بنفسها خلاف الواقع . وهذا من الغرابة بكان وهو مماثل اغترار رجل فقير لا يملك شروي فقير بكتابة رجل آخر عنه انه غني قوم في نفسه الغني وهب لمناضلة اغنياء زمانه مخدوعاً بما كتب فيه . فتأمل الصورة التي صور فيها الامة اليابانية . فلوفرضنا ان رجلاً سخيف العقل خدع بكتابة كاذبة فيه فيمكن انطلاخ الخديعة على الامة بامرها وهي مؤلفة من خمسين مليون نفس وفيهم الساسة والكتاب والمخترعون والمؤلفون وارباب النقد والتبصير الذين تبرهنت اهليتهم وكفاءتهم في كل مواضع البحث والنظر وقد ثبت بالاخبار ان اكابر الهيئة الاجتماعية صلاحاً وفضلاً هم المحسنون ظناً في الآخرين وان اكرم الناس يرون على الدوام الجانب الصالح من غيرهم . وان المدح على الاحسان خير من القم على الاساءة لانه يعمل على كثرة الصلاح من اسهل الطرق . وهذا اساس مدح اللورد سالسبوري لجنود اليابان في حرب الصين سنة ١٩٠٠ فانه بمدحهم يعمل غيرهم على التمثل بهم فترثي آداب الجندي . وذلك من المقاصد التي يليق نسبتها للورد سالسبوري . واني لا اقول بعصمة رجال السياسة والادب ولكني لا أرى سبباً كافياً لاتهام اللورد سالسبوري

والمسترسد ومؤلفي الاسكولبيديا البريطانية بوقية الخطباء والوعاظ والادباء من امة الانكليز بقصد خداع اليابان والتغريبهم . ولو فرض ان النتيجة كانت كما زعم جنابه لكانت غير مقصودة من اولئك . لان الصور الذي تضمنته مقالته من الاستخيل تحققة . ولو كان قصد الانكليز كما فسره حضرة لكان اليابان شعروا به واسقطوا اصحابه لان صاحب الفرض مهما تلون لا يقدر ان يخفي غرضه والهيئة الاجتماعية مطبوعة على اعتبار الخلق في المقاصد والاقرب لمع العقل السليم هو ان اللورد سالسبوري والمسترسد ومؤلفي الاسكولبيديا البريطانية وغيرهم من كتاب الانكليز وخطبائهم انما تكلموا بخلوص وبساطة في مدحهم اليابان . ولم يقولوا فيهم الا ما رآه واقتنعوا بصحته . ويعبر عن الروية ان كل كتابات الانكليز على اختلاف طبقاتهم مدة ربع قرن كانت متجهة لدفع اليابان الى حرب الروس

اما الحكم الذي ابرمه حضرة على الامة اليابانية في حربها مع الروس وانها سمت الى حنقها بظننها وان حدائة عهدها في النعمة والقوة ابطرتها وحلتها على التهور وخسارة نعمتها وقوتها الخ . فاقبل ما يقال فيه انه مبسر اعني ان جناب الكاتب اسرع قليلاً فان رحي المارك لا تزال دائرة الى الان فلم صبر الى انجلائها عن دحر اليابان وخذلانهم لكان حكمة اتمن واجدر بالقبول . لان " السيف اصدق ابناء من الكتب " فهل اليابان مخدوعة من نفسها او من كتاب الانكليز ومدفوعة الى حرب الروس اعتراضاً وان ذلك يعود عليها بالدمار ذلك من ابناء الغيب يعلنه الزمان . فليس علينا الا الانتظار

لا ريب في ان دولة الروس من اعظم دول الارض في القوة الحربية بحرية وبرية وان فيها القواد المحنكين والضباط المدربين وهي دولة شريفة يعز عليها الانكسار ولو مهما كلفها الامر . ولا ريب في انها قادرة على تجهيش مئات الالوف وارسالها الى اقصى الارض بوجه السرعة وامدادها بالموث والذخائر وهي الدولة التي لم ترجع من ميادين القتال الا ظافرة . وخضوع الامة للقيصر ومعيتها له امر جدير بالاعتبار ويمجئنا الى الثقة بقوة الحكومة وتمكنها من المثابرة على الحرب الى امير طويل . كل ذلك مقرر على اننا لانرى من سداد الرأي والحكمة الجزم بدمار اليابان لان النصر بيد الله يؤتيه من يشاء وهو على كل شيء قدير . وعلى فرض ان اليابانيين سحقوا سحقاً ووردوا الخلف في هذه الحرب فقد يكون لومنا اياهم في غير محله اذا كانوا اضطروا للدخول فيها . وعلى كل حال ارى ان جناب الكاتب قد حمل اليابان المساكين ما لا طاقة لهم على احتماله . وهم الامة الوحيدة في الشرق التي نهضت من غفلتها حسبما اثبت جنابه . فحري بنا الرقي بها ولا نحسب نهوضها ذنباً لثلاثي عزم بقية ام المشرق العاقلة عن التمثل بها . على

اننا من جهة ثانية لانؤكد الفوز لليابان ولا نسلك الروس السنة حداداً ولا نتهمهم بالانخداع والفرود والتمدي . ومع اننا نرى اندفاق كمنائب اليابان في اغوار منشوريا وانجادها ولا اندفاق السيول الجارفة . وقد طموا علي روايتها وجيالها . وحلوا قلاعها وحصونها . واصلوا الروسيين ناراً حامية . وقد فوا عليهم سيولاً من الكرات الجهنية . فزحزحوم بعد معارك يشيب لها الولدان من شمليو وينغ وينغ وبنغامبو وبنجو وويجو وانشونغ وطاكوشان وشانتونغ وطاليان وان ودالي وكنشو ونشان ووافنكو وفوشو وسيربان وسيازبي ودالينغ وشيلنغ وكيننغ وطاكشياو وبن كوف ونيوشوانغ ومايشنغ ولياوينغ عدا الوقائع البحرية التي لم يثبت التاريخ نظيرها فانهم حطموا الاساطيل الروسية وفرقوها ايدي سبا واغرقوها وعظام قوادها في اعماق البحار . وانتردوا في السيادة البحرية في الشرق ولا تزال اعلام النصر خافتة فوق رؤوسهم برءاً وبحراً مدة ثمانية اشهر . مع كل ذلك لانفخر بهم ولا نكفل لم النصر نهائياً ولا ننسب لاعدائهم العيش والفرود . ومن يعلم ماذا يجي به الغد . ومن يعلم هل يكون النصر لروسيا او لليابان ومع ان لنا اساساً للظن لكننا لانرى من باب الحكمة والانصاف ان نجزم بما نظننه ونبي عليه اللوم والتعريب بدول الارض العظيمة وفيها من الكتاب والادباء وقادة الافكار من لانشق لم غباراً . واذا حكنا بشيء وانت الايام بسكبه نضطر الى تسييرهم بالم وخبيل . فلندع اليابان والروس يبرهنون بالفعل مقدرتهم او اعترارهم وبعدها نحكم بما حدث ويكون حكماً حقاً لاربي فيه . وقد احسن من قال لانحكوا في شيء قبل الوقت . وخلاصة ما افوله اني استلقت نظري

جنايذ الى امرين

الاول تاويله كل كتابات الانكليز على اختلاف طبقاتهم تاويلاً يصرنها الى التعرير باليابان ودفعهم الى الدمار فان ذلك يحط من كرامة الانكليز ويبلبهم كل حقيقة ادية في كتاباتهم . ولا يسلم عقل بذلك

والثاني تشديده الكبر على اليابات لانهم تعرضوا لناواة الروس بداعي انهم ضعفاء عاجزون عن ذلك وحكمة الجازم يخذلانهم قبل الوقت . وفيما سوى ذلك اثني على همته وفضله وواقفة في كثير من آرائه النبية واهديه تحيبي واعتباري والسلام

(باحث)

حمص

## نفس العين وعين الاثر

قصيدة من نظم الشاعر المطبوع عزتو فارس بك شقير قائمقام قضاء الكورة في لبنان نظمها تذكراً للاحتفال باقامة تمثال العلامة الفاضل الدكتور دانيال بلس الرئيس الاول للدرسة الكلية الانجيلية في بيروت

هل اثر شاد المره من حجر  
فالنفس والعلم باقيات على  
ليست اماطين بملكها  
ولاستى الشمس ضاء في قمر  
ذاك بدا فاتحى الى قدر  
واللاهولى يسو بجوهرو  
اجل حياة الارواح سامية  
والفرق بين المثال من جدي  
كالفرق ما بين العقل منطلقاً  
لقد بنى دانيال خير بني الام  
اننا اراكين الفضل ثانية  
من كل فرد نشق نظرتة  
فمن حكيم شعاع حكمتة  
ومن طيب تلتى عيادته  
ومصعب خلت فوق منبره  
وشاعر اخذ بلاغته  
ونائر لم يفتى عبارته  
وراس رسمه الحقيقة لو  
وحاسب قد وعت بصيرته  
وزارع يجعل السباخ على  
وتاجر حرز ماله يده  
وسائس ساس امة بلغت

كثير شاد الفضل من بشر  
رغم التلاشي في العالم النظري  
شان الاساطير عن ابي الاثر  
كبارق العلم ضاء في فكر  
وذاك سار تام مع العصر  
عنها افتفاء في السير والسير  
رغم انحطاط الاشباح في صغر  
وما بناء الشقيف من نسر  
والتقل قيد الحدود والصور  
وظات خير الآثار والاثر  
ايات ما انشأوا يد الغير  
حجاب ما الجهل حاك من حبر  
يكشف ليل الضلال والغرر  
عوامل البرد موضع الخطر  
سحراً يريك الكلام من دزر  
بما تمى من كل مبتكر  
الا سمو الآيات في سور  
جاز حلول الارواح في صور  
ما كان اوعى في الصحف بالبصر  
حالك نسوم البذار باليدر  
وفكره حرز المدن والمدن  
يد من الغاي كل مقتخر

هاتيك آثار دانيال وحل  
 ترى رأوا قطعة الرخام كفا  
 لا بل دروا انه استحبال فقد  
 وهو على فضله ومغفوره  
 اخواننا في الديار ليس لنا  
 زحمت غطاء عن الرخام لمن  
 الراجح الباذخ المقام اذا  
 العالم العامل المزين به  
 أبا هوردد لله درك من  
 يا أسلم فان ابنك الكرم يرى  
 هوردد ياخير من قنا سلفنا  
 فكان له ابنا وللصنوف ابا  
 منبها من فوى خواطرم  
 وكن لم مثل من دعاك لم  
 حذار شيخوخة تدب الى  
 وكن كما كان حكمة ومضا  
 ولا نقف عند حد حالتنا  
 ولا تشب ما نقوله سلفنا  
 يا فروع أصل ذكت عناصره  
 من غرر فوق تكلم الفرر  
 لفضل مسعاه الباهر الخطر  
 مدوا اليه بنان معتذر  
 قابلهم بالوقار والخنفر  
 عن شكره غير الاقرار بالحصر  
 زاح غطا جهل السمع والبصر  
 عدت مقامات القدر والقدر  
 حقيقة الخبر صادق الخبر  
 شيخ جليل بالحزم مدثر  
 آثارك الغر خير منخر  
 قد فاح طيب ذكره العطر  
 يرعاهم وسع الحرص والسهير  
 ما يتفك النهي من الأمر  
 فعاضهم بالفتا من الكبير  
 شباب اداب الانس النصير  
 وعش كما عاش ساعي الوطير  
 ان القوي ترتقي مع الدهر  
 قد زين الله القصن بالثمر  
 من جوهر الناس لا من البحر

### اول تمثال في حمص

المرحوم الدكتور سليمان الخوري عيسى من رجال سورية النابغين خدم وطنه ودولته  
 خدمة نصوحاً خللت له الذكر العطر والاحدوثة الطيبة وقد عرف قراء المقتطف الكرام شيئاً  
 من ترجمة حياته وما نشر عنه في العدد السادس من السنة الماضية مشفوحاً برسوم - وبما ان  
 الامم الراقية في سلم الحضارة والتقدم قد اعتادت ان تنصب لرجالها العظام التماثيل والانصاب  
 برهاناً على اعترافها بجميل اولئك الرجال الافاضل خدمة الانانية والوطنية فلم يرض على وفاة  
 الفقيه مدة طويلة حتى تحركت عاطفة عرفان الجميل في نفوس بعض الوطنيين الشيورين على

تخليد ذكر المحسنين واقتروا اقامة تمثال له يشترك فيه ابناؤه وطنهم كلهم . غير ان المجال  
الفقيد مع شكرهم هذه المواظف الشريفة التي اظهرها المواطنين وقدرهم اياها قدرها واعتبارها  
اعظم مشاركة في آلام مصابهم الفادح واكبر تمزية عنه فقد ابوا الا ان يقوموا هم بنفسات  
هذا الاثر بربما بوالدم الذي اورثهم المجد التليد والطريف مكتفين من مواظبتهم بذلك الشعور  
الشريف وتلك العاطفة المقدسة عاطفة عرفان الجميل

ولما تم صنع التمثال في اشهر معامل ايطاليا ووصل الى حمص تعين يوم الاحد الواقع في  
٧ اب (اغسطس) موعداً للاحتفال برفع الغطاء عنه ووُزعت رقائق الدعوة على وجهاء المدينة  
وبلابلها للاشتراك في هذا الاحتفال الوطني الذي لم يسبق له نظير . ولما أذنت الساعة للمدينة من  
صباح ذلك اليوم تقاطر الناس زرافات ووحداً الى كنيسة القديس ايليان للروم الارثوذكس  
وبعد انتهاء القداس خرجوا الى المدفن المجاور الكنيسة حيث تمثال الفقيد على ضريحه . وكان  
في مقدمة الجمع ميادة الخبر السيد اثناسيوس متروبوليت حمص ومايلها وسائر اكليروسه الموقر  
فلما وقف ميادنه بجانب الضريح ارتجل خطبة نغيسة بين فيها الغرض من اقامة هذا  
الاثر وعداد بوجيز العبارة خدمات الفقيد ثم أوعز الى حضرة الوجهه حبيب افندي مرهج ان  
ينوب عنه بكشف التمثال ففعل مردداً قول المرثم الالهي : الصديق يكون لذكر ابيدي . فاذا ايد  
تمثال نصي فائق الاتقان يمثل الفقيد الكرم احسن تمثيل . ثم كلف حضرة جناب الامتاذ  
حبيب افندي الخوري الانطاكي ان يقرأ بالنيابة عنه خطبة كان قد اعدّها لهذا الاحتفال  
البهيج . وعقبه في موقف الخطابة الدكتور كامل افندي لوقا والامتاذ يوسف افندي شاهين  
وكانت هذه الرسالة فعدتوا صفات الفقيد الحناء . ثم تقدم حضرة الدكتور كامل افندي  
الخوري نجل صاحب الاثر وشكر الحاضرين غيرتهم ومواساتهم وانعطافهم واثى على فضلهم  
ومعروفهم واختم كلامه بالدعاء جلالة الشيوخ الاعظم

رزق الله نعمة الله عبود

### مقام العلم في اميركا

افتتحت مدرسة كوليا الجامعة في نيويورك سنتها المئة والحادية والخمسين بمنح رئيس  
اساقفة كنتري بري رندال تومس دانيدسن د.ل رتبة دكتور في الشرائع  
شهدت هذه الحفلة ورأيت اهل الدين واهل العلم يضمهم منبر واحد وعليتهم الجيب  
بعضائها الحريية الملونة يحسب رتب اصحابها العلية فكان رئيس الجامعة نكلواس مري بتلر

على كرسي مرتفع وعن يمينه رئيس اساقفة كنتربري واسقف نيويورك وعن شماله الدكتور روبرت ودورد ورئيس الجامعة الروحي وخلفه بضع مئة من الاساتذة والعلمين وامامة بضعه الوف من التلامذة والزارئين . وانفتحت الحفلة بترتيبة وصلاة ثم رحب الرئيس بالتلامذة وخطب الدكتور ودورد في المرابي المدرسية وبعد هذا وقف اسقف نيويورك ليقدم رئيس اساقفة كنتربري لاختد الرتبة وخطاب الرئيس بما يأتي ( بعدما ذكر انه اطلع على رأي بعضهم ان اميركا تحب من مناشي الجنس البشري )

”سيدي — يسرفني اعتقادي انه سواء كانت المدينة اشرفت اولاً على شواطئ القارات الشرقية او الغربية فانها اكتسبت من اسلافنا الانكلوسكسونيين مجدداً لن يفتي . وجامعة كوليبيا هذه كانت تدعى بادى ، يده مدرسة الملك لان ملك بريطانيا جورج الثاني كان اول من التي يزور العلم فيها وكان اول من عينه من حلقة مديريها رئيس اساقفة كنتربري . وقد مضت السنون العديدة وتبدلت تلك المبادئ الصغيرة بهذه المعاهد الكبيرة الا انه لم يمر في تاريخ هذا المعهد العلمي ساعة جليلة كهذه لان رئيس اساقفة كنتربري هو بيتنا الان ليرى بعيني العمل الذي اسمه اسلافه الاماجد وعزوه . وهو بوظيفة السامية وشهيرة الواسعة كعالم سياسي وروحاني يجله الناس هناك وهنا وهؤلاء التلامذة سيزيدون في اجلاله ولا سيما بعد ما يلقي البركة على اسس معبدكم الجديد . فانا اقدمه ياسيدي لاني عالم انك مترحب به عنا جميعاً وباسم دائرة امناه هذه الجامعة اسالك ان تتحده رتبة الشرف رتبة دكتور في الشرائع“

عندئذ نهض الرئيس بتلوييد دبلوما الرتبة وخطاب رئيس الاساقفة باوصافه ورتبه الدينية والعلمية جميعها ثم سلمه الدبلوما وحالما فعل ذلك تقدم من خلفه اثنان من عمدة المدرسة وأبسا رئيس الاساقفة شارة الرتبة من الحرير الملون حسب الوان المدرسة . ثم تكلم رئيس الاساقفة بعد ما صفق له الحضور طويلاً وقال

”لي اشرف ايها الرئيس ان اصير من عداد فائلي رتب جامعة كوليبيا ومع اني احدث من هؤلاء جميعاً فانا اقدمهم بعلافتي برثامة اسقفية كنتربري التي كان لها اليد الاولى في تدبير شؤون هذه الجامعة“ ثم قال ”نعلمون انه لا يزال لدينا مسائل شتى ينبغي حلها على اني اعتقد ان مسائل عظيمة ولا سيما في سبيل التربية قد تمكنتم انتم من حلها بسرعتكم المعروفة ونحن لم نستطع انقائها في اربعمائة سنة . واي رجل يقف تجاه هذا الجمهور العظيم ولا يتأثر من الافكار التي يوحىها اليه ؟ نعم نحن وافقون في بحر انور قرن مر في العالم وعلى شفا اكتشافات عظيمة

ستظهر في عالم المعرفة والعلم ومن يا ترى سيفتح الابواب الجديدة ويستخدم قوى الطبيعة بطرق اكل من ذي قبل بلنقمة البشر الا اهل العلم اتم الذين اراكم امامي

وبعد هذا مشي رئيس الاساقفة ورئيس الجامعة يتلوها الايامنة والمعلمون والتلامذة والازائرون الى موقع المعيد الجديد حيث جرت التراتيم والصلوات التبريكية وانقضت الحفلة هذا خلاصة ما وقع في هذه الحفلة اوردته مقدمة طويلة لتنتيجة قصيرة احب ان اعلقها هنا وهي اجلال العلم واهله والتباهي بربيه حتى من رؤساء الدين النخام — وقوف رئيس كوايبا على دكة صغيرة (وهو لا يزال في منتصف عمره) ويبدو الدبلوما وامامه رئيس اساقفة كنزيري الطائر الصيت متوج ملوك انككترا واقف يوقار ليتناول الدبلوما ويعتز بالانتساب الى المدرسة ومخرجيها ويقربشرف الرتبة التي خلعت عليه — كل هذه امور اثرت في تأثيراً بالنفك كرجل دخل هذه البلاد حديثاً واثرة رجال الدين وسيطرتهم في الشرق لا تزال في خاطري . هذا ما حداني لكتابة هذه السطور ليقف قراه المقتطف في الشرق على نسبة اهل الدين الى اهل العلم في الغرب ويعلم كل شرقي لم يعلم هذا من قبل انه ما دام استبداد رؤساء الدين سائداً في البلاد فضلاً عن استبداد الحكم فقد ضرب الله لتأخر سوربة اجلاغير مسمى جامعة كوليبيا — نيويورك في ٣ اكتوبر سنة ١٩٠٤ بولس الخولي

### رسوخ الاوهام

حضرة منشي المقتطف الفاضلين

زرت احد معارفي بالامس فجمرت امامي المحادثة التابعة بين ربة البيت واحدى زائراتها ربة البيت — لا اعرف ماذا اعمل لابني فقد صار عمره ستين وهو لا يستطيع المشي حتى الان

الزائرة — اني اصف لك شيئاً جربته كثيرون من معارفنا وام فلان كان ابنها مثل ابنك فاستعملت له هذا العلاج فمشى حالاً

ربة البيت — ما هو

الزائرة — خذي ابنك يوم الجمعة وقت صلاة الظهر وخطيه فوق الكرانبين في المطبخ قائلة يا شيخ منخل يا شيخ منخل وحياة الكباب والحشي خلّ ابني يمشي

هذا ما سمعته باذني . وواصفة هذا العلاج من بنات المدارس وتعرف اللغة الفرنسية

سلامون حموي

طنطا

# تاريخ التمدن الاسلامي

## تاريخ التمدن الاسلامي

### الجزء الثالث

موضوع هذا الجزء " العلم والادب وما كان منهما عند العرب قبل الاسلام وما احدثته الاسلام من التغيير في القرائح والعقول وما نقل عن اللغات الاجنبية من العلوم وما كان من تأثير التمدن الاسلامي في كل ذلك " وقال مؤلفه رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان انه " يشتمل على خلاصة تاريخ العلم والفلسفة والادب من اول عهد العمران الى ظهور الاسلام فضلاً عن تاريخها فيه "

ولا يخفى ان الموضوع واسع النطاق جداً لا يستوفى الا في المجلدات الضخمة فان علماء اوربا الذين كتبوا في تاريخ العلوم وارتقاها وضعوا في تاريخ بعضها كعلم الهيئة وعلم الطب وعلم الكيمياء مجلدات كبيرة فلا ينتظر ان يدمج تاريخ العلم والفلسفة والادب من اول عهد العمران الى ان دالت دول الاسلام في نحو مئتي صفحة ناهيك عن ان ما يكتب في تاريخ كل علم لا يبيح وافية بالمراد ما لم يكن كاتبه من التجربين في ذلك العلم الواقفين على كتب اهلهم ومذاكراتهم في مسائله المختلفة وما لم يطالع اشهر الكتب الموضوعة فيه . فعلى من يكتب تاريخ علم الكيمياء عند العرب مثلاً ان يطالع على اشهر الكتب الموضوعة فيه قبلهم ثم على اشهر الكتب التي ترجموها والتي وضعوها ثم يسرد القضايا التي عرفت قبل عيدهم والقضايا التي عرفوها كما فعل ديماس وبلتن وغيرها . وقس على ذلك علم الهيئة وعلم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم القطوع المخروطية وسائر العلوم الرياضية وكذلك علم الطب بكل فروع . والاعتماد على الكتب العربية لا يشفي غليلاً لان تكريرها للقول ان العرب اشتغلوا بالعلم والحكمة والرياضة والطبيعة لا يفيد شيئاً وكذلك تعديدها لاسماء المؤلفين واسماء تأليفهم لا يكفي الباحث للتحقق . ويظهر لنا ان هذا الجزء شبه مقدمة لما يمكن ان يكتب في هذا الموضوع بما يكفي من الاشباع وهو مع ذلك جامع لقوائد حجة وتحقيقات كثيرة مما لم نره في غيره من الكتب وبعضها مما لم يذكره احد من الباحثين في هذا العصر غير المؤلف على ما يظهر لنا كاستقصائه الخبر عن حرق مكتبة

الاسكندرية الى ما قبل ابي الفرج الملطي فبرأه مما اتهمه به كثيرون من انه وضع الخبر .  
والفصل الذي عقده المؤلف لهذا الموضوع يشهد له بدقة البحث وحسن النظر وقد رأينا ان  
نقل اكثره عنه قال :

” جاء في تاريخ مختصر الدول لابي الفرج الملطي عند كلامه عن فتح مصر على يد عمرو بن  
العاص ما نصه ” وعاش ( يحيى الغراماطي ) الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية  
ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من الناظر الفلسفية التي لم  
تكن للعرب بها آنسة ما هاله ففتن به وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمة  
وكان لا يفارقه . ثم قال له يحيى يوماً ( انك قد احطت بمواصل الاسكندرية وختمت على  
كل الاصناف الموجودة بها فما لك به انتفاع فلا تعارضك فيه وما لا انتفاع لك به فنحن اولى  
به ) فقال له عمرو ( ما الذي تحتاج اليه ) قال ( كتب الحكمة التي في الخزائن الملكية ) فقال له  
عمرو ( هذا ما لا يمكنني ان آمر فيه الا بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب ) .  
فكتب الى عمرو وعرفه قول يحيى فورد عليه كتاب عمر يقول فيه ( واما الكتب التي ذكرت  
فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى وان كان فيها ما يخالف كتاب الله  
فلا حاجة اليه فتقدم باعدامها ) فشرح عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية  
واحراقها في مواضعها فاستنفدت في مدة ستة اشهر فاسمع ما جرى واعجب ”

” وليس في نص هذه العبارة التباس ولكن الذين يميلون العرب عن احراق هذه المكتبة  
يطمنون في هذه الرواية وينسبون قائلها الى التعصب الديني وفي جعلهم جماعة كبيرة من  
مؤرخي الافرنج وقد الفوا الرسائل والكتب في تبريحها . وخلاصة اقوالهم : ان ابا الفرج  
المذكور هو اول من نسب حريق مكتبة الاسكندرية الى عمرو بن العاص وانه انما فعل ذلك  
تعصبا للنصرانية وتحقيراً للاسلام . وانه من اهل القرن السابع للهجرة وكان ابوه يهودياً  
وتنصر وشب ابا الفرج على النصرانية وارثي في رتب الاكليروس الى الاسقفية ثم الف تاريخاً  
في السريانية استخرجه من كتب يونانية وفارسية وعربية وسريانية واستخلص من هذا التاريخ  
كتاباً في العربية سماه مختصر الدول — قالوا ” وهو اول كتاب ذكرت فيه هذه القصة  
وتناقلها عنه الافرنج الى هذه الغاية ” وان ما جاء في هذا الشأن من اقوال عبد اللطيف  
البغدادي والمقرئ وحاجي خلفه من مؤرخي المسلمين لا تعتبر مصادر مستقلة لان المقرئ  
نقل عن عبد اللطيف حرفياً وحاجي خلفه لم يذكر مدينة الاسكندرية وانما اشار الى ان  
العرب في صدر الاسلام لم يعتنوا بشيء من العلوم الا بقتهم وشرعتهم حتى قال ” ويروى

انهم احرقوا ما وجدوه من الكتب في فتوحات البلاد " وان عبد اللطيف البغدادي ذكر حريق المكتبة في عرض كلامه عن عمود السواري بغير تحقيق . ويزعم اصحاب هذا الرأي ان مكتبة الاسكندرية احرقت الرومان قبل الاسلام وانها لو احرقتها العرب لذكرها مؤرخو المسلمين وخصوصاً كتاب النوح والمغازي . اهـ

" لا ننكر ان بعض هذه المكتبة احترق قبل الاسلام ولكن ذلك لا يمنع احتراق باقيا في الاسلام . اما النصوص التي وردت في هذا الشأن فليس ابو الفرج اول من رواها كما توهم بعضهم . فان عبد اللطيف البغدادي طاف مصر وكتب عن مشاهدتها وآثارها وذكر احراق العرب لهذه المكتبة قبل ان يولد ابو الفرج بيضع وعشرين سنة لان ابا الفرج ولد سنة ١٢٢٦ م ( ٦٢٢ هـ ) وعبد اللطيف زار مصر في اواخر القرن السادس للهجرة وهناك نص عبارته « ورايت ايضا حول عمود السواري من هذه الاعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها انها كانت مسقوفة والاعمدة تحمل السقف وعمود السواري طيبة هو حاملها . وارى انه الرواق الذي كان يدرس فيه ارسطوطاليس وشيعته من بعده وانه دار العلم التي بناها الاسكندر حين بني مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التي احرقتا عمرو بن العاص باذن عمر رضي الله عنه »

" نعم ان عبارة البغدادي مختصرة وقد جاءت عرضاً لكنها تدل على وثوق قائلها بصحتها كأنه اخذها عن مصدر موثوق به ومعمل عليه في ذلك العصر كالذي اخذ عنه ابو الفرج " اما ابو الفرج فقد اتم كتابه مختصر الدول في العربية في اواخر حياته ( توفي سنة ٦٨٤ هـ ) وهو ليس مختصر تاريخه السرياني الا من حيث اخبار الفتح لانه يريد على النسخة السريانية باخبار كثيرة عن الاسلام والمنقول وتاريخ علوم الروم والعرب وادابهم . واما السرياني فهو عبارة عن اخبار الفتح فقط فاغفال ذكر احراق المكتبة فيه لا يدل على انه دخيل في النسخة العربية او دسه فيه بعض المتأخرين كما توهم بعضهم وانما ذكر في النسخة العربية لانه يتعلق باداب الروم والعرب التي ادخلها المؤلف في هذه النسخة كما تقدم

" وقد تبين لنا بالبحث والتتبع ان ابا الفرج المذكور نقل تلك الرواية عن مؤرخ مسلم توفي قبله بنحو اربعين سنة وهو جمال الدين ابو الحسن علي بن ابراهيم القفطي وزير حلب المعروف بالقاضي الاكرم ولد في فسطاط من صعيد مصر سنة ٥٦٥ هـ وتوفي في حلب سنة ٦٤٦ هـ وللقاضي المذكور كتاب في تراجم الحكماء عثرنا على نسخة منه خطبة في دار الكتب الخديوية مكتوبة سنة ١١٩٧ هـ وقرأنا فيها في اثناء ترجمة يحيى النعماني كلاماً في معنى كلام ابي الفرج

وأكثر تفصيلاً منه وفيه شيء عن تاريخ هذه المكتبة منذ انشائها - واليك نص قوله:  
 "وعاش (يحيى الفخوي) الى ان فتح عمرو بن العاص مصر بالإسكندرية ودخل  
 على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له مع النصارى فآكرمه عمرو  
 ورأى له موضعاً وسمع كلامه في ابطال التثليث فاعجبه وسمع كلامه أيضاً في انقضاء الدهر  
 فنتن به وشاهد من حججه المنطقية وسمع من الفاضل الفلسفية التي لم يكن للعرب بها  
 انسة ما هاله . وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكاد لا يفارقه . ثم قال  
 له يحيى يوماً ( انك قد أحطت بمواصل الاسكندرية وختمت على كل الاجناس الموصوفة  
 الموجودة بها فاما مالك به انتفاع فلا أعارضك فيه واما ما لا نفع لكم به فنحن اولى به ) فأمر  
 بالانزاج عنه . فقال له عمرو ( وما الذي تحتاج اليه ) قال ( كتب الحكمة في الخزائن الملوكية  
 وقد اوقعت الحروطة عليها ونحن يحتاجون اليها ولا نفع لكم بها ) فقال له ( ومن جمع هذه  
 الكتب وما قصتها ) . فقال له يحيى ( ان بطولوماوس فيلادلتوس من ملوك الاسكندرية  
 لما ملك حبب اليه العلم والعلوم ونخص عن كتب العلم وامر بجمعها وافرد لها خزائن نجمت  
 وولى امرها رجلاً يعرف بابن سره ( زميرة ) وتقدم اليه بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة  
 في اتمامها وترغيب تجارها فعمل واجتمع من ذلك في مدة خمسون الف كتاب ومائة وعشرون  
 كتاباً ولما علم الملك باجماعها وتحقق صحتها قال لزمية اتري بقي في الارض من كتب العلم  
 ما لم يكن عندنا . فقال له زميرة قد بقي في الدنيا شيء في السند والمند وفارس وجرجان  
 والارمان وبابل والموصل وعند الروم فعجب الملك من ذلك وقال له دم على التحصيل فلم يزل  
 على ذلك الى ان مات وهذه الكتب لم تنزل معروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الامر من  
 الملوك واتباعهم الى وقتنا هذا ) . فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى وعجب منه وقال له ( لا يمكنني  
 ان امر فيها يا امر الأبعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ) وكتب الى عمر وعرفه  
 بقول يحيى الذي ذكر واستأذنه ما الذي يصنع فيها فورد عليه كتاب عمر يقول فيه ( واما الكتب  
 التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى وان كان فيها ما يخالف  
 كتاب الله تعالى فلا حاجة اليها فنقدم باعدامها ) . فشرع عمرو بن العاص في تقريظها على  
 حمامات الاسكندرية واحراقها في مواضعها وذكرت عدة الحمامات يوشن وانيتها فذكروا انها  
 استنفدت في مدة ستة اشهر فاسمع ما جرى واعجب " انتهى كلام ابن القفطي  
 " وبقابلة هذه الفقرة بكلام أبي الفرج يتضح لك ان أبا الفرج نقل قول ابن القفطي  
 مختصراً . ولو قرأت الكتابين لعلمت ان أبا الفرج نقل كثيراً من زياداته العلية في كتابه

العربي عن كتاب ابن القفطي ككلامه عن ثيادوق طيب الحجاج فان العبارة منقولة عن تراجم الحكماء حريفاً

”بني علينا البحث في المصدر الذي نقل عنه ابن القفطي والغالب انه نفس المصدر الذي نقل عنه عبد اللطيف البغدادي لانهما كانا متعاصرين وعبد اللطيف سابقه لانه ولد سنة ١٥٥٧ وتوفي سنة ٦٢٩ هـ ولكن لسوء الحظ قد ضاعت تلك المصادر في جملة ما ضاع من مؤلفات العرب . على اننا اذا تدبرنا ما ذكره ابن التديم في كتاب الفهرست عن اخبار الفلاسفة الطبيعيين من حكاية انشاء مكتبة الاسكندرية يتضح لنا ان في جملة المصادر التي نقلت عنها تلك الرواية تاريخاً لرجل اسمه اسحق الراهب كان يبحث في اخبار اليونان والرومان وآدابهما . ومن جملة ما نقلوه عنه خبر انشاء مكتبة الاسكندرية على يد زميرة وهالك نصه . « ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك فحصى عن كتب العلم وولى امرها رجلاً يعرف بزميرة خضع من ذلك على ما حكى اربعة وخمسين الف كتاب وماية وعشرين كتاباً وقال له ايها الملك قد بقي في الدنيا شي كثير في الهند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم » وهي نفس عبارة ابن القفطي فالظاهر انه اخذ انشاء المكتبة عن اسحق المذكور واخذ حريقها عن سواه . ولولا ما نقله ابن التديم عن اسحق الراهب من أمر الفلاسفة لما علينا بوجوده وظنناه لم يقل شيئاً كما ظننا المسلمين لم يذكروا شيئاً عن حريق مكتبة الاسكندرية على يد عمرو

”فيؤخذ مما تقدم ان حكاية احراق مكتبة الاسكندرية لم يختلفها ابو الفرج لعصب ديني ولا دسها احد بعده بل هو نقلها عن ابن القفطي وهو قاضٍ من قضاة المسلمين عالم بالفقه والحديث وعلوم الترات واللغة والنحو والاصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجبر والتعديل وكان صدراً محتشماً جمع من الكتب ما لا يوصف وكانوا يحملونها اليه من الآفاق وكانت مكتبته تساوي خمسين الف دينار ولم يكن يحب من الدنيا سواها وله حكايات غريبة عن غرامه بالكتب ولم يخاف ولداً فاوصى بمكتبته لناصر الدولة صاحب حلب . وله مؤلفات عديدة في التاريخ والنحو واللغة وفي جملتها كتاب اخبار مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين في ستة مجلدات وكتاب تراجم الحكماء الذي نحن في صدده . وان ابن القفطي وعبد اللطيف البغدادي اخذا عن مصدر ضائع . واما خلوه كتب التلخيص من ذكر هذه الخادثة فلا بد له من سبب والغالب انهم ذكروها ثم حذفوا بعد نضج التمدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفة قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوه

او لعل ذلك سبباً آخر . وفي كل حال فقد ترجح عندنا صدق رواية ابي النرج . انتهى  
ومعلوم ان نقل ابي النرج عن ابن القنطي المعروف بالقاضي الاكرم لا يحل المسألة بل  
يعد الاسناد درجة . ولا تزال هذه المسألة في معرض البحث لاسيما وان رواية ابن القنطي  
بعيدة عن التحقيق التاريخي وقد رجح الباحثون ان يوحنا القحري المذكور فيها هو يوحنا فيليبوس  
الذي نشأ قبل النسخ بأكثر من مئة سنة

والكتاب في مئتي صفحة بقطع المقتطف وهو حافل بالفوائد التاريخية جامع لزيادة كتب  
كثيرة وقد اسند المؤلف ما نقله الى المصادر التي نقل عنها وذكر الجزء والصفحة ولكنه اغفل  
ذكر الطبعة التي نقل عنها وبعض الكتب طبع مراراً فلا تنطبق صفحات الطبعة الواحدة  
على صفحات الطبعة الثانية . ونتم الفائدة لو اشار في صدر الكتاب الى النسخ التي اعتمد عليها  
كما فعل صاحب كتاب حضارة الاسلام

### ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

لما كانت المكاتب العربية حافلة بالكتب العلمية من مترجم وموضوع كان تلخيص مواضيعها  
سهلاً على الباحثين كما فعل مؤلف هذا الكتاب وهو الامام شمس الدين محمد بن ابراهيم بن  
ساعد الانصار السنجاري المتوفى سنة ٧٤٩ لهجرة فانه جمع مواضيع اكثر العلوم المعروفة لعصره  
في رسالة وجيزة وذكر فيها من اسماء الكتب المؤلفة في العلوم المختلفة ما يرشد طالب البحث  
عن علوم العرب والمنقول اليهم والمنقول عنهم فيسهل عليه استقصاء ما يريد استقصاءه . خذ  
مثالاً لذلك ما ذكره عن علم الهندسة قال " هو علم يتعرف منه احوال المقادير ولو احقها  
واوضاع بعضها عند بعض ونسبها وخواص اشكالها والطرق الى عمل ما سبيلها ان يعمل بها  
استخراج ما يحتاج الى استخراج بالبراهين اليقينية . وموضوعه المقادير المطلقة اعني الجسم  
التعليقي والسطح والخط ولو احقها من الزاوية والنقطة والشكل . واجزأؤه الاصلية عشرة " .  
وبعد ان فصل هذه الاجزاء قال " ولم ار الى الآن كتاباً يشتمل على هذه الاجزاء المشتركة  
لكن لو كل تصنيف الاستكمال للمؤتمن بن هود رحمه الله لكان كافياً مغنياً واما كتاب  
الاستقصات لاقليس فانه يحتوي على المهم من الجزء الاول والثاني والرابع والخامس والسادس  
والثامن واما الجزء الثالث فينفرد به كتاب الخروجات لابليوس والسابع ينفرد به كتاب  
الاشكال الكرية لالانارس والجزء التاسع بعضه في الاستقصات وبعضه في كتاب الكرة  
والاسطوانة لارشيدس والجزء العاشر ينفرد به كتاب الكرة المتحركة لاقطوقوس "

ويظهر من ذلك ان كتب الرياضيات المحضة كانت الى عهد المؤلف ترجحات من كتب اليونان . ثم استطرد الى ذكر العلوم المتمزجة المبينة على الرياضيات وسماها بالعلوم المنترقة من الرياضيات وقال انها عشرة وهي علم عقود الابنية وعلم المناظرو علم المرايا المحرقة وعلم مراكز الانتقال وعلم المساحة وعلم إنباط المياه وعلم جر الانتقال وعلم البنكانات وعلم الآلات الحربية وعلم الآلات الروحانية . وذكر في علم عقود الابنية كتاباً لابن الهيثم وكتاباً للكرخي وفي علم المناظر كتاباً لافلينس وكتاباً لابن عيسى الوزير وكتاباً لابن الهيثم وفي علم المرايا كتاباً لابي علي بن الهيثم وفي علم مراكز الانتقال كتاباً لابن سهل الكوهي وكتاباً لابن الهيثم وفي علم المساحة كتاباً لابن الحلي الموصل وكتاباً لابن الخنار وكتاباً لارشميدس الخ . ويتضح من ذلك ان العرب اعتمدوا في الاصول على كتب اليونان واما الفروع فالفروا فيها كتباً كثيرة

وقد استفدنا من هذه الرسالة ان السموأل برهن على مسائل علم الجبر بالبراهين العددية واغليام برهن عليها بالبراهين الهندسية وحبذا لو ارشدنا احدنا الى حيث يوجد كتابا السموأل واغليام هذا وبمجال البحث في علوم العرب وما اقتبسوه وما وضعوه واسع جداً ولم نرَ لاحد سيفي ذلك كلاماً شائفاً حتى الآن فاذا اريد ان يُعرف تاريخ العلوم عندهم وجبان يبحث في كل علم منها على حديثه وتذكر قضاياه التي عرفها الناس قبلها تناولها العرب والقضايا التي زادها العرب فيه وبذلك لا يغيروه يعرف تاريخ العلم عندهم ويتصفون فلا ينسب اليهم ما ليس لهم ولا يبخسون اشياءهم

وقد عني بطبع هذه الرسالة حضرة اسعد بك حيدر احد اعيان قضاء بعلبك بعد ان وقف عليها وصححها حضرة العالم المحقق اظاهر انندي بن صالح الجزائري احد علماء دمشق

### تهذيب النفس

خطبة للاستاذ الفاضل جرجس انندي هام احد اساتذة المدرسة الكلية الشرقية في مدينة زحلة القاها على طلبة المدرسة في احتفالها السنوي هذا الصيف . ووضح فيها ان النفس مولعة بالمعرفة والتدرج فيها ترقياً الى الكمال لان الانسان وجوداً معنوياً غير وجوده المادي والمادي . وهذا الوجود المعنوي هو الحياة الانسانية الحقة التي تقوم بتغذية النفس بالمعارف وتخليتها بالقضايا . فالتهديب بالعلوم هو غاية النفس واليه تنزع وما احراها له لانها له خلقت ويوتجها وتدرج في معارج الكمال . ومقام المرء من المجد والعلي هو حيث يجعل نفسه من سلم العلم والتهديب . واستشهد اخطيب احياناً بسير الفضلاء لايضاح مراده قال :

” كان دكرت الفيلسوف الفرنسي يعتبر ذاته كائنًا مفكرًا وسعى سعيًا متواصلًا في تهذيب نفسه وترويض قواه العاقلة بُنية أن يجلو غامضًا أو يجزّر مشكلاً أو يحقق مظنونًا أو يكشف عن نافع يعود على الناس بالخير . ولم يدُر في خلدِه ان يعمل شيئًا ريبًا ولا سُمةً . ولذلك يتعاشى في اليسير الذي نشره من مصنفاته كل ما يؤدى الى نباهة الذكر والشهرة بين الناس . ونعم المبدأ الشريف مبدأه فان حجة الحق اُمرارة فارقة يتناز بها من كان صادق العزم في تهذيب نفسه عُمن سواه . ولذلك يستكف من الدعوى انفة واستكبارًا ويرى الابهتار حارًا . ينبذ الفشور جانبًا ويجزّز ثياب المعارف . يكره التلبيق والترهيق في الاعمال ويميل الى الاجادة والإنقان لا طمعًا في استحسان الناس ولا ابتغاء الكفاة ولكن استئانًا بسبب الداتية التي اختطها لنفسه . فان الافكار الصحيحة كالمبادئ القوية غايتها مقصورة على نفسها لا تخطاها الى المثوبة ولا الى حسن الاحدوثه“

والخطبة كلها على هذا النسق من بلاغة العبارة وحسن البيان

### حدائق المشور والمنظوم

كتاب انتقاء الاستاذ المحقق الشيخ سعيد الشرتوني من كتب البلغاء الموصوفين وفرسان البراعة المدودين وارباب اليراعة المشهورين لكي يطالع في المدارس فيرسم في ذهن حافظه رواية ودراية ملكة الفصاحة واليلاظة بالغة حد النهاية وهو تسمان احدهما للشور وقد جعله ثلاثة اجزاء والآخر للمنظوم ولم يدر مجالًا يتجول فيه الاقلام ولا موردًا تحوم عليه حوائم الافهام الا اثبت فيه ما يحمل بالكتاب مما كانه وتسهل لم وعورة السبل معارضته ومضاهاته والحقه بمجم نشر فيه ما ورد في الكتاب من الغريب

وحبذا لو الحق بالمعجم فصلًا ضمة ترجمات الكتاب الذين نقل عنهم ووصف الكتب التي نقل منها وذلك بالايجاز التام كما يقول عن الغزالي مثلاً انه الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي صاحب كتاب احياء علوم الدين وكتاب جهافت الفلاسفة كانت وفاته بطوس سنة ٥٠٥ للهجرة (١١١١ للميلاد) . وعن المستطرف هو كتاب المستطرف في كل فن مستظرف اشهاب الدين الابشيحي وقد اعتمدت على النسخة المطبوعة في ٠٠٠ سنة . . . وهلم جرا

### كلمات في سبيل الحياة

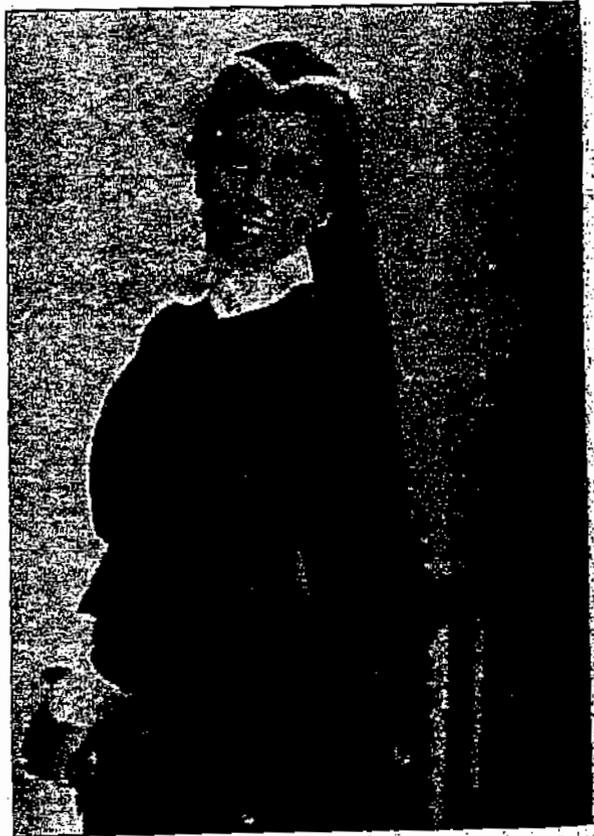
هو مقالات ادبية فلسفية للنشي والاديب احمد اندي حافظ عوض جرى فيها مجرى لورد افبري في كتابه المشهور سعادة الحياة الذي نقلنا بعض فصوله الى المقطف . وقال ان مجت

الحياة وسعادتها من اهم المباحث التي يجب ان توجه اليها انظار الامة المصرية من ابواب الاقتصاد والتدبير والسعي والنشاط اذ اننا اصبحنا لا نرى اللذة الا في الاشياء المادية ولا نلظن السعادة الا بالثروة وما شاكلها مع ان اللذة توجد في كل شيء اذا نظر اليه الانسان بعين الحكمة والبصيرة " وان الذين يصحون الناشئة بالتمسك بالفنائل ويتقنون على المدارس يجب عليهم ان يسعوا كذلك في ترقية الامة وتهذيب رجالها ليكون الاباء قدوة للابناء والاكابر قدوة للاصغار . واما اذا لم تشيد للعلوم والمعارف اندية ولم ينشط العامل والنيه ولم ينجل المؤدب ولم تعط المراكز بالاستحقاق والكفاية الشجعية فلا ادب ينيد ولا ادب . والمقالات كلها على هذا السقي . وانا في حث الامة على اکتساب الماديات بانقان الزراعة والصناعة والتجارة لكي تقوى ويجب ان لانسى حثها على اکتساب الادبيات حتى نملكها الفضائل وننصف بمكارم الاخلاق

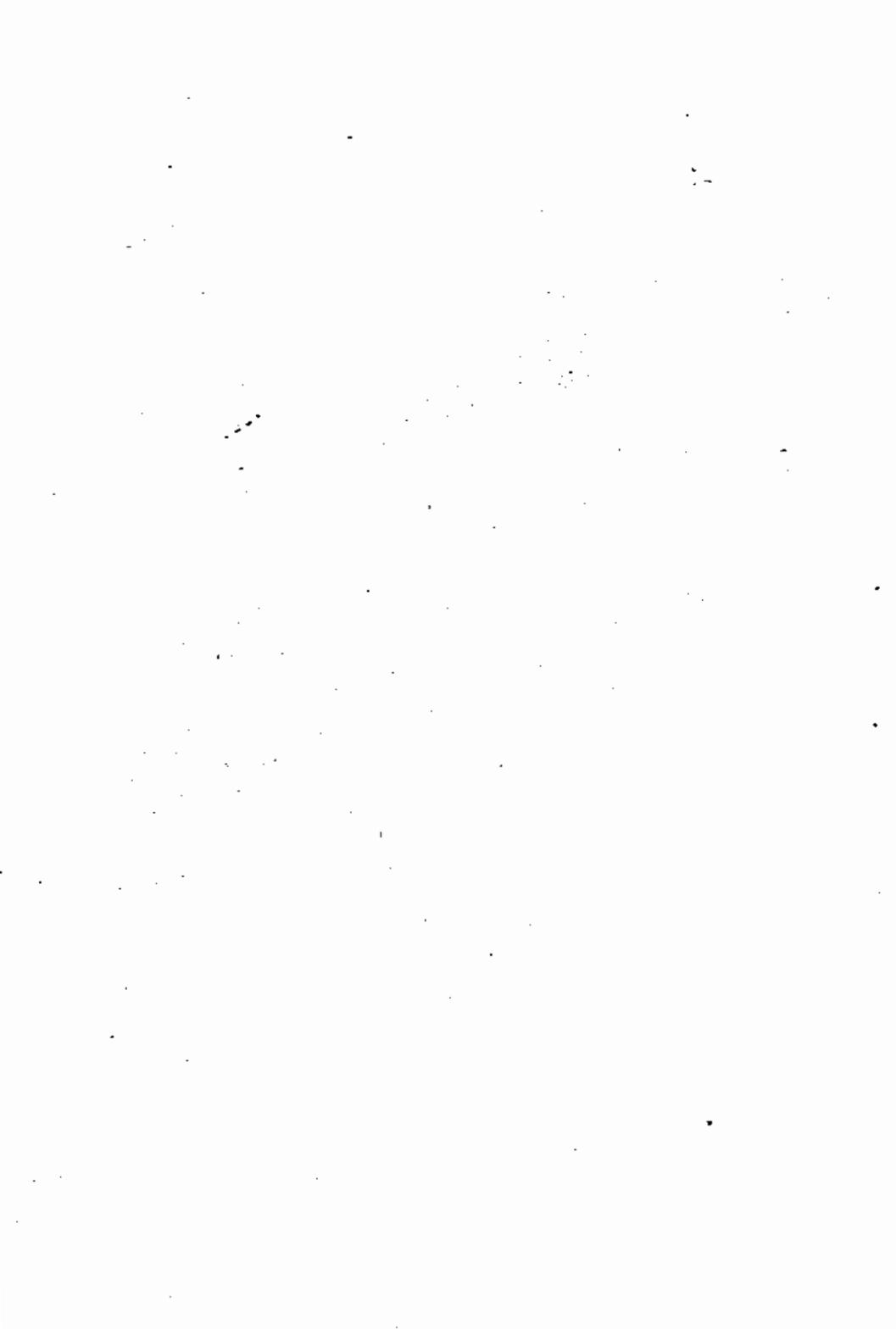
### تقريض المرصی

وضع هذا الكتاب حضرة السيدة الفاضلة ادلا ورتبات كريمة استاذنا الدكتور يوحنا ورتبات وقد نشر اولاً فصولاً في المقتطف ثم طبع على حدته في كتاب صغير الحجم يسهل وضعه في الحيب واستعماله في البيت ولا يبلغ اذا قلنا انه اتفق انكتب المنزلية في حال المرض كما ان كتاب ايها الدكتور ورتبات اتفق انكتب المنزلية في حال الصحة . وقد اهدت المؤلفنة كتابها هذا الى السيدة الفاضلة مدام الياس بك سرسق . وقالت في اهدائه انها فلت ذلك تذكراً للساعات السعيدة المفيدة التي قضتها معاً في اعادة تنظيم مستشفى ماري جرجس في بيروت وتدريب المرضات الوطنيات . فان مدام سرسق هذه من السيدات السوريات المثريات المشهورات باعمالهن الخيرية

والسيدة ادلا ورتبات المؤلفنة من نوابغ بنات سورية تلقت دروس طب النساء وتقريض التقريض في اشهر المدارس الانكليزية وخدمت وطنها خدمة جليلة في تنظيم مستشفى ماري جرجس في بيروت وتأليف هذا الكتاب افتداه بوالدها الفاضل الذي قلده جدي العريية المثلن بتأليفه الكثيره فوق خدمته الطويلة في المدرسة الكلية الاميركية وستشفاها . وقد استسحنا حضرتها بنشر صورتها هنا وهي لابسة لابس المرضات



ادلا ورتيات





ادلا ورتيات



## الكلمات الإيطالية في العربية

أهدى الناخضة الفاضل شقراط بك سبيرو مدير مصلحة المراتي والنشرات في الاسكندرية وصاحب القاموس المعروف باسمه - نسخة من كراس جمع فيه الكلمات الإيطالية المستعملة في اللغة المصرية العامة . وقد قال في مقدمته ان الكلمات التي استعارها المصريون من اللغة الإيطالية أكثر عددًا مما استعاروه من سواها ما عدا التركية وذلك يدل على ان الإيطاليين كانوا اول من أدخل التمدن الغربي الى مصر . ومن الفوائد التي في هذا الكراس ان منشئ البوستة المصرية لإيطالي واول رئيس للإستئناف المختلط ايطالي ايضا وعدد الاوربيين في الاسكندرية في ١٨١٨ الفاً وفي العاصمة ٣٥٣٨٥

هذا ويبلغ عدد الكلمات التي جمعها المؤلف ٤٠٠ كلمة او أكثر وهي في مواضع مختلفة مثل الأكل والشرب واللبس والتجارة والاصوات التي ينادي الباعة بها في الشوارع واسماء الشهور والالات والاسماء الجغرافية والاعلام وغير ذلك . وقد جعل كراسه تذكراً للرحوم الاستاذ فلك المشهور فنشي على حضرته اطيب الشاء لامتياحه بموضوع لا تنكر فائدته اللغوية والاجتماعية

## باب تدبير المنزل

قد قمنا هنا الباب لكي ندرج فيوكل ما يهم أهل البيت من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشرب والسكن والزينة وهو ذلك ما يعود بالفنع على كل عائلة

## مقام المرأة في انكلترا

ككتبت سيده انكليزية مقالة في مجلة البودوار تحت هذا العنوان قالت فيها :  
يذهب البعض الى ان الزمان الحاضر زمان يتبع النساء فيه بحرية عظيمة . والحقيقة ان القيود التي لا تزال النساء مقيدات بها ثقيلة يرسفن فيها رغماً عن ارتقاء منزلتهن في المجتمع الانساني ومعظم ذلك الارتقاء انما هو في منزلة المرأة المتزوجة فان سلطتها على اولادها زادت

عما كانت عليه أولاً ولكنها ليست مساوية لسلطة زوجها عليهم . ولها الحق في شراء الاملاك  
وبيعها كما لو كانت عزباء

ومن الحقوق التي نالها حديثاً السماح لها بدخول المدارس العليا . وقد لقيت في ذلك  
اشدّ المقاومة من الذين كانوا يزعمون ان الجهل وحده يصون المرأة ولا تزال مدرستا  
اكسفورد وكبرج تايان عليهما رتبتهما . ولكنها مساوية للرجل من هذا القبيل في معاهد  
العلم الاخرى

على ان عدد الوالدين الذين يملون الى تعليم بناتهم العلوم العليا مثل بنينهم لا يزال قليلاً  
وليس السبب الاولي في ذلك امر النفقات لان الاغنياء والفقراء سواء بهذا النظر . ثم ان  
حالة المرأة من حيث تعاطي الاعمال مظلمة مما كانت مواهبها فان الحرف التي يسمح لها  
باحترافها قليلة والاجرة التي تأخذها صغيرة . وليس بين الحرف الشريفة حرفة يسمح لها  
بتعلمها سوى الطب

ومعظم البنات المتعلقات يمارسن التعليم وهنّ اكثر عدداً من المعلمين في المدارس  
الابتدائية ولكن الاجور التي يتقاضينها تبلغ ثلثي اجور المعلمين مع ان التريقتين متساويان  
في الكفاءة ومقدار العمل . ووسائل ترقينهم قليلة فاذا حلت وظيفة ناظر في احدى المدارس  
التي يتعلم فيها الذكور والاناث معاً وقدم المعلمين والمعلمات الطليات لئيل تلك الوظيفة رفض  
اصحاب الشأن النظر في طلبات المعلمات وعينوا الناظر من المعلمين

واغرب من هذا وذلك ان اجور المعلمات في المدارس العليا اقل من اجور المعلمين في  
المدارس الابتدائية فهي فلما تزيد على مئة جنيه في السنة ومعظمها اقل من ذلك كثيراً .  
واعلى مناصب التعليم محصور في الذكور مثل مناصب مفتشي الحكومة واماتذة الكليات الكبيرة .  
فقد سمع رجل من رجال لجنة وكل اليها تعيين استاذ لالقاء الخطب على التلاميذ والتلميذات  
يقول " ليس عندنا من يصلح لذلك المنصب مثل السيدة فلانة لو كان تعيينها فيه ممكناً " ولا  
يشطهمة الفتاة وعزيمتها مثل معرفتها ان الرجال يحرمونها من مركزه كقولهم له "لجود كونها انثى  
وبين النساء كثيرات يجترفن التريض وهو مع صعبته لا يكسبن منه اكثر مما يكسب الخادم  
في المنازل . اما التجارة فان معظم اللواتي يشتغلن بها منهنّ مستخدمات عند التجار لبيع السلع  
بالتفريق . فلما ترى امرأة تدبر محلاً تجارياً والسبب في ذلك عدم وجود رأس المال اللازم  
للأعمال التجارية معها وقلة تمرنها واخبارها . فان التجار لا يسمحن لبناتهنّ بالعمل في مكاتبهنّ  
ولا في مخازنهنّ . ووسائل الترفي قليلة في وجوه كتابات المحلات التجارية لانهنّ لا يستخدمن

للترقى بل ليقتن عند قاعدة السلم التجارية

والنساء المستخدمات في مصانع الحكومة مثل البرسة والتلغراف والتلنوت وغيرها يأخذن اجوراً قليلة جداً . ولا ريب ان أخذ النساء لاجور اقل من اجور الرجال يزيد المزاومة التجارية والصناعية تعقداً

والرجال الذين يقاومون استخدام النساء يمتدرون عن ذلك بقولهم ان النساء لا يطول بهن الزمان حتى يتزوجن ويصين معلقات بازواجهن وفاتهم ان الزواج غير ميسر للجميع لاسباب منها ان النساء اكثر عدداً من الرجال في انكلترا . ثم ان المرأة المتزوجة كثيراً ما يموت زوجها او يمرض فتضطرها ان تعول اولادها بنفسها . والمعروف الآن ان عدد النساء المستخدمات في المحلات التجارية والصناعية يزداد على التوالي وتحسين حالهن مسألة تشغل البال وتبيح البال

ثم اشارت الكاتبة في ختام مقالها الى حرمان المرأة الحقوق السياسية والخطاط منزلتها الاجتماعية والعيوب الاقتصادية التي تنوء تحتها ووصفت لهذا الداء ان يسمح للمرأة بالتخاب النواب امرة بالرجال اذ الانتخاب اساس الحرية واذا تم لما ذلك وصار لها نواب في مجلس لامة زالت النقائص والمساوى التي تعيبها وصلح حالها وماأما

### تهذيب البنات

وكتبت سيدة اخرى مقالة في تهذيب البنات في المجلة نفسها قالت فيها ان بين الرجال والنساء عدداً عظيماً يهتمون بتربية كلابهم وخطيم اكثر مما يهتمون بتربية اولادهم . على ان منهم كثيرين لا يدخلون تحت هذا الحكم بل يمتنون بتربية اولادهم وتهذيبهم وينكبون بكلبيهم على ما فيهم خيرهم ومصلتهم . والاولون يظنون انهم اذا اضمروا اولادهم والبسوم ورتبهم فهناك تنتمي مسأوليتهم والله لا يطلب منهم شيء آخر بعد ذلك . فيشأ الاولاد على اخطير او على الشر اذ لا وسط بين الاثنين ويشعلون ويقتبسون مما حولهم حنكاً كان او قبيحاً ووالدوم لا يشعرون الا وقد تأملت فيهم الاخلاق والعادات التي اقتبسوها اما للتفخار واما للشار وكثيراً ما سمعنا اماً تكبت بابن او ابنة جلياً العار عليها وعلى بيتها تعول وتقول " اواه لماذا بلاني الله بهذا المصاب . ايه ذنب جنيت وايه وزر اقررت حتى اقبلت بولد جلب علي" المذلة والعار . والجواب على ذلك انها لم تنكب بولد عقوق لانها فعلت امرأ من الامور بل لانها لم تفعل . فكيف توأم الامم التي تنكل امر اولادها الى الخدامات اياماً واسايح بل

اشهراً وستين ان ينشأوا مثل الاولاد الذين يتولى والدوهم بانفسهم امر تربيتهن ومراقبتهن  
الولد على ما ينشأ . علمه ألا يحب الأجيل نيشب محباً للجميل كارهاً للقيح . علمه الحب  
ولا تعلمه غيره نيشب وهو لا يعرف البغض . ومن اول واجبات الوالدين ان يعلموا اولادهم  
كيف يستقبلون كوارث هذه الحياة ونوازها ويمدقونهم لها حتى اذا نزلت بهم لا يتذبذبون سوء  
حظهم ولا يستسلمون لاهواء النفس . علمهم ان المصائب انما تضرهم اذا تركت قمر تنومهم  
وتحترق حجبها وانها تزقيم وتجمل اخلاقهم اذا بشوا بوجوههم وحشوا لما . علم البنت ان مصدر  
الرضي والانباط والسعادة في هذه الحياة انما هو داخلها وانها في طرفها ان تجعل عيشها ايض  
او اسود - انعم من النعم او اشقى من الجحيم . لكن خير قدوة لاولادنا ولستقبل نوب الدهر  
امامتهم يشرف باسم وجاش رابط فان القدوة اشد تأثيراً في تنومهم من جميع الآراء والبادي  
التي يعلمونها بالقول

## باب التصيب الجديد

صفا هذا الباب منذ اول انشاء المتنطف ووجدنا ان نيسابور مسائل المتفكرين التي لا تخرج عن دائر  
بعض المتنطف . ويشترط على السائل (١) ان يضي مسألة باسمه والناو وهل اقاموا امضاه واحصا (٢) (٣) لم  
يرد المسائل التصريح باسمه عند ابراج سواله فليذكر رسمنا ويعين حروفاً تخرج مكان اسمه (٤) اذا لم يدرج  
السؤال بعد شهرين من ارساله اليها فليكنه مسألة فان لم تخرج بعد شهر آخر تكون قد اهلنا لسبب كان

(١) خزان اصوان وقناطر اسنا

طنطا . الياس افندي جرجس مخايل .

هل تعليه خزان اصوان وعمل خزان بقرب

اسنا يفيدان مديريتي قنا واصوان وهل عملها

هو لجعل اراضي المديريتين تروى ربياً صيتياً

او لمع الشراقي فقط

ج . الفرض من تعليه الخزان وبناء

القناطر تكثير الماء الصفي وتعليته لتعميم

الري الصفي سيف مديريات الوجه البحري

ومديريات الوجه القبلي الى حد قنا ولكنة

لا يفيد في منع الشراقي فوق قنا

(٢) بنك الصعيد الجديد

طنطا . ج . هل اوراق اليانصيب التي

اكثر بنك الصعيد الجديد الاعلان عنها ليس

فيها اخلاص في السحب او غيره

ج . كلاً ولا يخفى ان بنكاً معتبراً

يستعمل الفس والاخلاص ولا داعي للفس

والاخلاص لان اصحاب القرعة او بنك

(٤) البيرا وشربها

زحلة . ابرهيم اندي ميخائيل عطا  
كيف تصنع البيرا وما هي المواد المستعملة في  
تركيبها واي الشعوب أكثر ولوحاً بها

ج . البيرا نقاعة مخمرة من الشعير  
وحشيشة الدينار . ينقع الشعير في قليل من  
الماء حتى يشرع يفرخ اي يتحول بعض نشائه  
الى سكر ثم يصفى ويحمص ويلطحن او يهرس  
ويصب عليه ماء سخن حتى يذوب كل ما  
يمكن تذويبه منه وتضاف حشيشة الدينار الى  
السائل ويغلى ثم يبرد حالاً . وقد وصفنا  
كيفية عمل البيرا بالاسهاب في الصفحة ٥٤٤  
من المجلد الثالث عشر من المقتطف

وأكثر الناس شرباً للبيرة الالمانيون ثم  
الانكليز فالفرنسيون فالروسيون . وقد  
حسبوا ما شربته هذه الامم وغيرها سنة  
١٨٩٩ فكان هكذا

الالمانيون	١٤٠٠	مليون جالون
الانكليز	١٢٠٠	" "
الفرنسيون	٢٠٠	" "
الروسيون	١٠٠	" "

ويشرب البلجيكي ٣٦ جالوناً في السنة  
والانكليزي ٣٠ جالوناً والالمانى ٢٥ جالوناً  
والدنمركي ٢١ جالوناً والسويسري ١٢ جالوناً  
والاميركي ١٢ جالوناً والهولندي ٩ جالوناً  
والفرنسي ٥ والاسوجي ٢ والرومي ١

النصيب يكسبون مكسباً كافياً من الفرق بين  
الاوراق التي يبيعونها والاموال التي يدفعونها  
للابمين فاذا جعلوا ثمن الاوراق مئة الف  
جنيه جعلوا قيمة الجوائز سبعين الفا او ثمانين  
الفا فقط فيكون الفرق ربما لهم وتفتات  
ينفقونها على ادارة العمل

(٣) الرجل والرضاعة

طنطا . الخواجه يوسف حديده . قرأنا  
في باب المسائل رد اعلى سؤال عثمان اندي  
سنة ٩١٦ ان الرجل كان يوضع اولاده  
كالمرأة في غابر الزمن فكيف ذلك والمرأة لا  
يوجد اللبن في ثديها الا بعد ما تلد فكيف  
يوجد اللبن في ثدي الرجل وهو لا يلد

ج . ليس الولادة شرطاً لوجود اللبن  
في الثدي لانه قد يوجد قبلما تلد المرأة او  
بعد ما تلد بستين كثيرة . وامامنا الآن قطعة  
ترضع من اختها واختها اكبر منها ولكنها لم  
تلد قط . وقد رأينا امرأة ارضعت ابن بنتها  
بعد ان مضى على آخر ولد ولدتها أكثر من ١٥  
سنة والغالب ان اللبن يتولد في الثدي سبعة  
زمن الولادة ليكون غذاء للطفل . هذا هو  
النظام الجاري الآن ولكن لا شيء يمنع انه  
لم يكن كذلك دائماً . وفي نقصم ثدوتي الفتي  
وقت بلوغه كنتضخم ثديي أثناء وقت بلوغها  
اشارة الى ان ثدوتي الرجل كانتا تكبران  
وتفرزان لينا حين الحاجة اليه وذلك كله من  
باب الظن او الترجيح لا من باب التأكد

لأننا رأينا دفاتر (كانالوجات) مختلفة تكون الصور في بعضها كبيرة وفي بعضها صغيرة والغالب ان يكون التماس أربعة في المئة أي ان ما طوله أربعة مستقرات في الرسم يكون طوله في المرسوم متراً. إلا أن أكثر الرسوم يكون طولها وعرضها مكتوبين تحتها فتعلم النسبة بين الرسم والمرسوم بسهولة

(٨) الحروب

ومنهُ . يقول البعض ان الحروب من ضروريات الحياة ولولاها ما ارتقى نوع الانسان فهل ذلك صحيح  
ج . ان الميل الى الحرب او الجهاد موروث في الانسان عن اسلافه الاولين ولا ندري ماذا كانت حال الانسان لولا الحروب ولكن لاشبهة في ان لها شأناً كبيراً في ارتقائه جسداً و عقلاً

(٩) البارك

كانتريك بداسكوتا (امبركا) الطواجه  
طنوس ابو رزق . ماهي النجوم التي نراها  
تساقط في بعض الليالي  
ج . هي حجارة صغيرة من بقايا نجم متكسر او من تجاميع ساجدة في الفضاء تجذبها الارض اذا دنت منها فتقع عليها وفي وقوعها تحكك بالهواء فتحترق من سرعة حركتها وتظهر منيرة وقد تكون كبيرة فتصل الى الارض وأكثر مادتها من الحديد

(٥) فن التعليم  
ومنهُ . ماهي الكتب التي ألفت و طبعت باللغة العربية في فن التعليم وابتن تباع  
ج . لم يفتنا انه ألفت كتب في العربية في فن التعليم حتى الآن

(٦) عدد الاربين والامريكين سنة ١٨٠٠  
وسنة ١٩٠٠

سان بولو بالبرازيل . الطواجة جبران نعوم  
كم كان عدد نفوس كل مملكة من ممالك اوربا الكبيرة والولايات المتحدة في بداية القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين  
ج . ترون ذلك في الجدول التالي وقد ذكرنا العدد فيه بالملايين

١٨٠٠	١٩٠٠	
٣٨	١٣٠	روسيا
٤	٠٧٧	الولايات المتحدة
٢٥	٠٥٦	المانيا
٢٧	٠٤٤	النمسا والمجر
١٥	٠٤١	بريطانيا
٢٧	٠٣٨	فرنسا
١٨	٠٣٢	ايطاليا
١٢	٠١٨	اسبانيا

(٧) نسبة الرسوم والصور الى الحقيقة  
ومنهُ . ماهي القاعدة المصنعة في رسم الخرائن والمرايا ونحوها سيفه دفاتر المعامل الصناعية اي ماهي نسبة الرسم الى الحقيقة  
ج . لا يظهر لنا انه توجد نسبة مضطربة

## بأخبار إنجلترا العلية

منذ اربعين سنة الى الآن بالنحو الطبيعي  
والفتوح أكثر من مئتين وعشرين مليوناً كما  
ترى في هذا الجدول

سنة ١٨٦١	عدد السكان	١٢٥ مليوناً
" ١٨٧١	" "	٣٥٥ "
" ١٨٨١	" "	٣٧٢ "
" ١٩٠١	" "	٤٠٠ مليون

وكانت مساحة السلطنة الانكليزية سنة  
١٨٦١ نحو ثمانية ملايين من الاميال المربعة  
فبلغت سنة ١٩٠١ نحو اثني عشر مليوناً فهي  
أكثر من خمس المسكونة كلها مع ان المملكة  
الانكليزية نفسها اي انكلترا واسكتلندا  
وارلندا لا تزيد مساحتها على ١٢١٠٨٩ ميلاً  
فكان كل ميل منها يحكمون على سكان مئة  
ميل من العمور

وقد يظن لاول وهلة ان الانكليز  
هاجروا الى البلدان القاصية وعمروها لان  
بلادهم ضاقت بهم وهذا غير صحيح فان  
سكان انكلترا وويلس يبلغون نحو ٢٣ مليون  
نفس وفي انكلترا وويلس ٣٧ مليون فدان  
فالبلاد الانكليزية اقل ازدهاراً من القطر  
المصري لان سكان القطر المصري عشرة  
ملايين ومساحة اطيانه نحو خمسة ملايين فدان

### الظواهر الفلكية في شهر نوفمبر

الربع الاخير	١	١	١٣ صباحاً
المرحلة	٢	٥	٣٧ مساءً
الربع الاول	١٥	٢	٣٦ صباحاً
القدر	٢٣	٥	١٢ "
الربع الاخير	٣٠	٩	٣٨ "

تدخل الشمس برج الرامي في الثاني  
والعشرين من الشهر الساعة ٧ مساءً  
يكون عطارد قريباً جداً من الشمس  
في اوائل الشهر فلا يرى ثم يصير نجم المساء  
والزهرة نجمة المساء تغرب بعد الشمس  
بفجوة ساعتين

والريخ يطلع الساعة ٢ والدقيقة ٣٠  
صباحاً ويشرق كشمس الصباح  
ويرى المشتري جنوباً الساعة الرابعة  
صباحاً

ويميل زحل الى الجنوب الساعة السابعة  
مساءً ويغرب نصف الليل

اتساع الممالك الانكليزية  
ازداد عدد سكان الممالك الانكليزية

## الاستاذ فنسن

يتذكر قراء المتطف اسم الاستاذ فنسن مستنبط العلاج بالنور وقل من يعلم منهم ان هذا الرجل قضى الايام يبحث ويتحن وهو مريض بداء الم وبداء عقيم داء المفاصل وداء الاستقامة مع ضعف في القلب والكبد لكنه بالغ في الحمية والتوقى حتى تمكن من تحقيق ارائه ثم وافته ميتته في الرابع والعشرين من شهر سبتمبر الماضي وهو في الثالثة والاربعين من عمره . وقد درس في مدرسة كوتنهاغن ثم صار استاذاً للتشريح فيها واتصل الى علاج الجديري بالنور الاحمر ثم اثبت فعل النور في قتل الجراثيم المرضية واستنبط التنديل الذي يستعمل لذلك . ولا يخفى جائزة نوبل لاكتشافه هذا وهي مئة الف ريال - وهب نفسه للمستشفى الذي انشئ للعلاج بالنور مع انه ليس من اهل الثروة

## عمر البيض

ذكرت احدى الجرائد الالمانية طريقة بسيطة لامتحان البيض اساسها ان الهواء الذي في "عقب" البيضة يزيد كلما قدم عهدها . وهي ان توضع البيضة في ماء مشبع بالملح ويوضع معها ميزان لقياس زاوية ميلها فاذا كانت جديدة بقي وضعها اقلياً في قعر الاناء وكلما مرت الايام عليها ارتفع عقبها الى

فوق ومالت الى الوضع العمودي . فالبيضة التي عمرها من ٣ ايام الى ٥ يرتفع عقبها وتكون زاوية ميلها ٢٠ درجة . والتي عمرها ٨ ايام تكون زاوية ميلها ٤٥ درجة . والتي عمرها اسبوعان تكون زاوية ميلها ٦٠ درجة . والتي عمرها ثلاثة اسابيع تكون زاوية ميلها ٧٥ درجة . والتي عمرها شهر تنصب عمودية رأسها الى تحت وعقبها الى فوق

## الاطعمة المشوشة

عزمت حكومة الولايات المتحدة الاميركية على انشاء مستوصف كيباوي في نيويورك لفحص مواد الطعام التي ترد عليها من الخارج ومعرفة السليم من المشوش منها . والذي حملها على هذا هو انه قدم نيويورك حديثاً ثلاث بواخر حاملة مواد طعام اشقيت فيها . وبعد الفحص الكيباوي وجدت مشوشة فأعيدت من حيث جي بها

## علاج مرض النوم

روى مكاتب جريدة الدايلي كرونكل الانكليزية في باريس ان الدكتور لافران من اطباء مستوصف باشور اكتشف دواء لمرض النوم ولقح يد حيوات تقطع بمكروبات المرض دشفت منه

## الدكور والاناث

ظهر بالاخص ان عدد الاناث اكثر من

## أكبر الاقبال

أتى الى احد المرافق الألمانية بمطام نيل  
كان علوه ١٦ قدماً و ٩ عقد من قدمه الى  
اعلى كشفه فهو يزيد ٣ اقدام على اعلى الاقبال  
التي وجدت قبله

## التعليم في اليابان

عدد سكان اليابان ٤٥ مليوناً وعدد سكان  
روسيا ١٤٠ مليوناً لكن عدد الاولاد الذين  
يتعلمون في المدارس في بلاد اليابان ٤٣٠٢٦٢٣  
وعدد من في روسيا ٤١٩٣٥٩٤ فقط

## توقيف المركبات

بمحت لجنة الاتوموبيل الفرنسية عن  
المسافة التي تقف فيها المركبات التي تجرها  
الخيل اذا اريد توقيفها بفتة ومركبات  
الاتوموبيل فوجدت انه اذا كانت السرعة  
سبعة اميال ونصف ميل في الساعة فالمركبة  
التي تجرها الخيل لا تقف تماماً الا بعد ٣٠  
قدماً واما الاتوموبيل فيقف بعد ١٠ اقدام  
اي اذا كانت مركبة واتوموبيل جارين معاً  
واريد توقيفهما حالاً فالمركبة لا تقف الا بعد  
٣٠ قدماً واما الاتوموبيل فيقف بعد عشر  
اقدام واذا كانت السرعة ١٢ ميلاً في الساعة  
فمركبة الخيل تقف تماماً بعد ٤٣ قدماً و  $\frac{1}{3}$  قدم  
واما الاتوموبيل فيقف بعد ١٦ قدماً و  $\frac{2}{3}$  القدم

عدد الذكور في البلاد الانكليزية نسبة ١٠٦٨  
الى ١٠٠٠ . واذا قوبل بين الذكور والاناث  
الذين في سن الزواج اي بين ٢٥ و ٣٥ فعدد  
الاناث يزيد على عدد الذكور نسبة ١١١٤  
الى ١٠٠٠ . والنساء اطول عمراً من الرجال  
فيزيد عددهن على عددهم من سن ٨٥  
تصاعداً بنسبة ١٦٩٣ الى ١٠٠٠

## ضرر الاعشاب البرية

لا يخفى ان الاعشاب البرية التي تنمو  
بين المزروعات والاعراس تضرها ضرراً كبيراً  
وقد بحث الدكتور سمث في هذا الموضوع  
في خطبة تلاها في مجمع ترقية العلوم البريطاني  
فيبين ان الضرر ناتج ليس عن اخذ الاعشاب  
للغذاء من الارض ولا عن اخذها الرطوبة  
منها ولا عن منعها حركة الهواء بل عن فعل  
سامة تسمى بالمزروعات والاعراس . وبما ترجنا  
خطبته يرمتها ونشرناها في الجزء التالي لما فيها  
من الفوائد الكثيرة

## لون الشعر والصحة

بين الدكتور شربل في مجمع ترقية  
العلوم ان شقر الشعر اشد تعرضاً لأمراض  
الطفولية من سود الشعر وان سود الشعر اشد  
تعرضاً للسّل من الشقر وذلك بعد ما يجنازون  
سن الصبوة وان الشقر معرضون لأمراض  
المفاصل والسم للامراض الرئوية

## فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد التاسع والعشرين

٩٢٩	تقدم الجغرافية (مصورة)
٩٣٥	الجواد العالم
٩٣٧	كتاب روزبري عن نيوليون
٩٤٣	الزهد في الحياة . لغارس افندي الخوري
٩٤٦	عجائب الحرب
٩٤٨	حياة الجماد
٩٥٦	فلقة الحرب الحاضرة . لجوزيف افندي دهان
٩٦١	خطبة الوزير بلفور
٩٧٠	سكة الحجاز . لمحمد افندي كرد علي
٩٨١	قوانين يوستيانوس . للاستاذ سعيد افندي الخوري الشرطوي

٩٨٩	باب المراسلة والمناظرة * بورت آرثر والحرب المحاضرة . نس العين وعين الانر . اول شمال في حص . مقام العلم في اميركا . وسوخ الاوام
٩٩٨	باب التفريظ والانتقاد * تاريخ تمدن الاسلامي . ارشاد القاصد الى اسق القاصد . تهذيب النفس . حدائق المشور والمنظوم . كلمات في سبيل الحماية . تريض المرض . الكلمات الابطالية في العربية
١٠٠٧	باب تدبير المنزل * مقام المرأة في انكلترا . تهذيب النبات
١٠١١	باب المسائل * خزان اصول وقاطراتنا . بنك النصب المجدد . الرجل والرضاعة . اليرما وشريها . فن التعليم . عدد الاوربيين والامريكيين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٩٠٠ . نية الرسم والصور الى المحققة . الحروب . التياذك
١٠١٣	باب الاخبار العلية * وفيو ١٣ نبة رواية البوليس السري ملخقة بالمنتطف

## الفصل الخامس والعشرون

## انتقام ثلث نساء

ولما خرجت املي افتتحت البرنس غالتزن الكلام قائلة : —

— اظن اننا كليتنا صديقتا القائد غودارد . واقول لك اني سأحضر الاجتماع المزيج ان يعتقد هذه الليلة . ولا ريب في انه سيكون مشهداً مزيجاً لك . لكننا سنغم فيه متعة الابتهاج بشبهة صديقتنا

— يسرفي انك تعرفينه . وعندني ان غودارد عنوان كل فضل وكرامه . ولقد قدر لي واإسفاه أن أكون سبباً لاصابه باعظم ضرر

— ارالك تبالعين في ذلك

— نعم اني لم انمده ولكن النتيجة واحدة . ومن الغريب اني صيرت على حمل مصيبتى هذا الوقت الطويل كده ولم ارضح تحت ثقلها الا في تلك الدقيقة كما تعلمين . وفيما كنت طازمة على التصريح بانني انا التي اعطت الورقة أرتج علي وخانني الكلام وغبت عن الصواب . ولست بتاسية ما عشت حول تلك الساعة . فقد كان في امكاني ان أهرى ساحة غودارد بكلمة . وقد بذلت في ذلك غاية جهدي فذهب اجتهادي كله باطلاً

— عندني انه خير لك ايها السيدة ان لا تحضري هذا الاجتماع . ولكي يقيه اصدقاءه ينوبون عنك ويكفونك تحمل الآم مبرحة

— لا بل يجب علي الحضور لداع لا يمكن غض النظر عنه . وذلك ليس لاجل تبرئة صديقتي القديم — اذ له من ينوب عني في هذا الامر كما ذكرت — بل للحمامة عمن لا يبعد حماياً ولا مدافعاً — عمن يكون وحيداً في حالة تحرك عواطفى لمساعدته — وهو زوجي ا — وهل يمكنك الدفاع عنه ؟ فلم يبق زوجك لانك طالق

— انه ابرابنتي . فاي طلاق شرعي يمنع مساعدتي له ؟ لعلك ترميني بضعف القلب ولكن هذا ما أراه موافقاً لي ولست أحول عما طبعت عليه من الشفقة والحنو — لقد اخطأت مرادي ولعلك تدركينه اذا اخبرتك بانني انا الشيطانة الجميلة — الشيطانة الجميلة !

قالت السيدة ارلنورد هذا بدھشة انهضتها على قدميها . فقالت البرنس غالتزن : — هل راعك هذا ؟

— نعم راعني قليلاً لاني لم استمدد لمقابلة تلك — الشهيرة

— اذ لو عرفت من انا لم تهمني بمقابلتي

— نعم لو عرفت لايت الاجتماع بمحاملة هذا الاسم — الشيطانة الجميلة — مخافة ان يفضي بنا اجتماعنا الى مالا يرضينا ككتبتنا لاني استفي شيء من ارائك. ومع هذا كله اعترف لك باني رايتك تختلفين كثيراً عما توقعته فيك

— اشكر لك هذا الاستدراك اللطيف . فقد صرحت بانة لاشيء في ظواهري يسلبني حق نظر الناس اليّ بعين الاحترام — ولست بتكررة صلاحك وشرف عواطفك ولكنك قليلة الرفق بينات جنسك . فلست ادري ماذا حملك على اساءة الظن في من لا تعرفين عنها شيئاً

— لا اعرف شيئاً ؟ — فقد سمعتُ —

— سمعت ؟ ولكن مرادي انك لم تعرفي وهذا يختلف عن السماع

— عفواً ولكن لا تنسي ان تلومي نفسك على ما يجده اسمك من التأثير في آذان

السامعين . فمن ليس لما زوج —

— ان كان احترام المرأة مقصوداً على كونها ذات عقل فانا حريه باكبر نصيب منه .

وفي عزمي ان اطلعك على نصّة تسرك الى الغاية فارعيني سمعك

فاظهرت السيدة الس علامات الإصغاء واخذت البرنس خالترن تقص عليها ما يأتي: —

— ” ان والدتي ماتت وانا بعد طفلة صغيرة . فعثت مع أبي في قصرنا في لادوكا لا

ثالث لنا سوى فتاة صغيرة جعلت خادمة لي ولكنني اتخذتها رفيقة وصديقة . ففي احد

الايام خرجت بي للتزوّج واطالت شقة المسير حتى اجعدنا كثيراً عن قصرنا وأوغلنا في الحراج

للمجاورة . وفيما نحن عازمتان على الرجوع سمعنا صوتاً بين الادغال اندرنا بوجود وحش كبير

مفترس . ولم يلبث ان طلع علينا من الغاب دب هائل . فلما رأيناه مقبلاً نحونا التصقنا

احدانا بالآخرى واستحوذ علينا خوف لم يتأدر فينا شيئاً من الرشاد . ولكن لحسن حظنا لم

نبطئ ان سمعنا صوت بندقية على مقربة منا . ورأينا اللبّ عبيدلاً بدماؤه . ثم خرج من

الغابة رجل يهتس بالجياة ويعتذر عما نالنا بسببه من الخوف والذعر . وسار في حمايتنا الى

القصر فأكرم ابي لقاءه ولاسيما حينما بلغه انه من اسرقه كريمة ذات وجهة ومكانة . وكان

هذا الرجل انكليزياً وقد جاء روسيا للصيد . واذ كان نازلاً في جوارنا أخذ يتردد علينا يوماً

بعد يوم حتى رأيت نفسي تعلقت بهجتوه . اما أخي الذي كان يكره هذا الانكليزي كرهاً

طبيعياً فكان قد تزوج تلك الفتاة — رفيقتي وصديقتي — وذهب بها إلى بطرس برج حيث دُعِيَ للاعظام في سلك الحرس السري . فلما اصبحنا وحدنا لم نكذب أن اتفينا مثال اخي فافتراً سراً خوفاً من ابي الذي كان حريصاً جداً على شرف اصله الغالزي . وفي الشتاء انتقلنا جميعاً إلى بطرس برج

” فلما رأي اخي ان هذا الانكليزي باقٍ معنا اوجس خوف العاقبة وعزم على طرده من بطرس برج واخذ ينتهب الفرصة لمخاصمته حتى سخط له أحد الاماء في النادي . فحدث بينهما خصام شديد فغمر اخي زوجي كثيراً وامتنهه امتناناً لا يصر عليه أحط الناس قدراً واداناهم شرقاً ودعاه الى مبارزته وضرب له اجلالاً لذلك . لكن زوجي بعد خروجه من النادي سعى في ما اوجب القبض على اخي اذ لا يصعب في بلادنا الشقية سلب الانسان حريته بل حياته لوقوع اقل شهمة عليه ا

” فتصوري — ما استطعت التصور — شقاء حالي وكُم منجبت من الدموع السخية عندما بلغني هذا النبأ الشؤم ولا سيما إذ تحققت ان اخي أخذ بمسكيدة زوجي ولم أعد انظروني فيما بعد لانه مات الان المأخوذ في روسيا بذن سياسي وان لم تقم الادلة الكافية على جرمه لا يتعدر اغتياله بطريقة أخرى . ومن ذلك العهد توجهت افكاري نحو غرض واحد — الانتقام

” اما زوجي ففني من روسيا وشاع ان اللصوص هاجموا مركبته على النجوم فكسروها وقتلوه . وحينئذ التمت لنفسي تسلية عن هذه الكاره وخضت بجر السياسة الطامي ووقفت على خدمة البرنس سكولوف باقي ايامي . وبالاخصاص صرت ” الشيطانة الجميلة “ . وذلك ما حلق بي طائر شهرتي ووقع في قلوب الكثيرين خوفي وخشيتي . لكنني والحق يشهد بقيت مع انهماكي بالسياسة منصرفة نحو اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وتعزية الحزين وتفرج كرب المتضايقين . ولا تسألني كم من حياة انتشلت من وهاد القنوط على يدي ووقيت الارنظام بصخور الياس الابدي . وفي ايام متاعبي واضطراباتي اجتمعت بالقائد غودارد . وقد سررتني اني كُنيت تبعه الجنابة ولم تطلع يداي بدم زوجي

فلا فرغت من حديثها نهضت السيدة ارلنفورد وقالت بلسان السامة والفجور : —

— أراك اكرهتني على الاصغاء الى حديث لا يهمني البتة ولكنه مكثرتك فقط

— مستعدين عما قليل عن هذا الرأي . فقد اتخذت هذه الحادثة مثلاً يناسب موضوع بحثنا وشاهد اعلى قولي انه خير لك ان لا يكون ثملق المرأة بزواج دخل في احترام الناس

لما لانك لم تكوفي قطه ذات بل ابل انت لتكد الطالع أم ولد بزواج غير شرعي ا

— انا ا كنب مجسرين —

— اسمي فأخبرك كيف أجسر. ان الرجل الذي سبب قتل اخي وقرينته الحامل —  
الرجل الذي اتصيدُه من مكان الى آخر تصيد الضواري الجامعة باق حياً هو الرجل الذي  
تظنينه زوجك وهو بالحقيقة زوجي ا

— وبلاد الكذب ا لا يمكن ان يكون صحيحاً ا

— اعلي ان الرجل الذي جردني من اسمي وشرقي وميكاني واكسبي شهرة يتقبض مني  
لاجلها سيدات نظيرك ويعرضن عني بروجو باسرة لا يبرح حياً وهو اللورد ارنلفورد المدعو  
تبلأ جون فاين

— انك تقولين هذا تشنياً وانتقاماً لاني غطت بكلامي مع ابي لم اتعمد ذلك. فاجشو  
الآن امامك وانضرع اليك ملتصقة الوقوف على الحقيقة. فهل تتسمين لي ان مائقرينة صحيح ؟  
— أقسم لك انه صحيح وسأينته بالاداة الكافية

ثم دخلت املي دشون فوجدت السيدة ارنلفورد مفضياً عليها عند قدمي البرنس غالترن  
وبعد نصف ساعة رجعت البرنس غالترن الى منزلها فوجدت البرنس سكولوف جالسا  
ينتظر قدومها بفروغ صبر فلما رآها نهض لاستقبالها وقال : —

— قد جئت لاطلاعتك على عراقل جديدة عرضت لنا ولم يبلغك خبرها بعد — ما هي ؟  
— ان مقام اللورد ارنلفورد تغير من حيث علاقته بزوجه تغيراً مهماً — لا اعظن  
— بلغني ان الس راغبة في ان تسمى الماضي وتنفو عما حدث وترجع الى زوجها  
فاجابته باسمية : —

— لست مصيباً ايها البرنس فيما نقلته فالسيدة الس لاتروم ان تسمى وتنفو وليست في  
شيء من عزم الرجوع الى زوجها لانها لم تكن قط طالقاً  
فاوجس البرنس خوف اختلال في قوى البرنس العقلية لكنه كتم اهتمامه بهذا الامر  
وقال لها بكل بساطة : —

— لست انهم مرادك. أراك تكلمين بالالغاز. — وتود لها حلاً وتوضيحاً

— ممن اقف على ذلك ؟ — من السيدة ارنلفورد نفسها

— اوده الاجتماع بها فهل تظنينها تروم مقابلتي ؟

— لاريب في انها تسر بقبالتك كل السرور

- واين في الآن ؟ هل لك ان تخبريني ؟ — هنا
- هنا اين ؟ — في هذه الغرفة امامك
- ناشدتك الله قولي لي ماذا ماذا تعنين بهذا ؟ — اعني اني انا هي
- قالت هذا بكل بساطة واستوتت على كرسي مقابله . فرمت عليهما بضع دقائق لم يفوها فيها ينت شفة . ثم وثب البرنس على قدميه وصرخ : —
- فهمت ا الآن فهمت ! تزوجت هذا الرجل في روسيا اليس كذلك ؟ — بلى
- وهذا الطيبت تمكّن من الوصول الى خزانتك وصرق كتابي — نعم
- هل يعلم بهذا أحد ؟
- نعم فقد قابلت المرأة التي ادعى زواجها ( الس ) اليوم بعد الظهر واخلمعتها على كل شيء لانه حان الوقت
- وماذا أصابها عند اطلاعها على هذا الخبر ؟ — كما تتوقع
- وعلى م عزمي الآن ؟
- ان هذا آخر ما عندي لحمل ارنلفورد على الإقرار باجتهاء على غودارد وبعد إقراره وتبرئة القائد المذكور لا يصعب علي الغاء زواجنا لأن طول المدة وعروض تلك الحوادث — هذا كله يمكنني من التخلص منه . اما انت فلست في حاجة الى مساعدتي على تنفيذ قوتك وادراك مرادك
- وبعد هذا ؟
- فتوردت البرنس واطرفت لا تبدي جواباً فقال : —
- لا بأس . فقد وعدت اني اهتم بما فيه سعادتك مؤثراً هذا على الاهتمام بمساعدة نفسي . وسوف ازيدك على هذا الامر برهاناً بعد برهان ماشاء الله من الزمان . ففي الساعة التاسعة نجتمع في منزل المستبركزولا يد ان ارنلفورد يحاول بوقاضيه المهودة الافلات من الاشرار التي نبتناها حوله . ولهذا ساذهب مسلحاً بافضل الوسائط واكوى الوسائل التي لنا في البرليس السري
- وهل تستطيع ذلك ؟ — هنا في انكثرا ؟
- أنسيت ان جون فاين كان لتكدالخط عضواً في الفرقة الثالثة ؟
- أنسيت اني لن أنسى هذا مدى العمر ؟
- وعلي إذا انه مع عدم وجود معاهدة رسمية بين الحكومتين في تسليم المذنبين فيد

جلالة التيمصر تستطيع القبض على عبيدو ابن كانوا . أتركي هذه المسألة لي

— يزيد الرضى والمرور . فاذا الى المساء — عن قريب

وفي الساعة الثامنة جلس المستر سنستاتوس بركر في مكتبته بكتب رسالة . وبعد ما فرغ التي يراعه من بدم وقوم ظهره على كرسيه ورفع الرسالة يدم وقال في نفسه بعدما أكل تلاوتها : —

— هذا يعني

وهذا تعريب رسالتي : —

سيدي المستر سافيل

يسرني ان اخبرك ان اللورد ارنفورد بأني انتهز فرصة الفرار من الجلسة المراد عقدها هذه الليلة في يتي . وقد عزم ان يشهدا متحوراً ومعداً لها امضى اسلحة الدفاع . فان لم تكن اسلحتك امضى من السحتي تمكنت ابنت عمي — النناة الشقية الطائفة — من الحصول على ما يورثها الخراب والدمار ويوردها موارد التلف والبوار . ولا يغرب عنك انه وعد وقد بلغ غاية النذالة والدناءة وانزع جمعة احتياله في اجتذابها اليه مغللاً نفسه بالتحويل عليها وتحويل كل اذية اليها وقد عجلت في اطلاعك على هذا لكي تكون على بصيرة وتأتي الجلسة متأهباً للحمل عليه التأهب التام . وفي اقرب وقت اتوقع زيارته لي والسلام — صدقك للتخلص سنستاتوس بركر

ثم طواها وعنونها باسمك سافيل ودفعتها الى الخادم وامره بسرعة ايصالها الى صاحبها . ورجع بنش اوراقه قائلاً : —

— ابن وضعت كتاب تلك النناة الشقية ؟

ولما وجدته فتحه وقرأ فيه ما تعريبه : —

ابن عمي العزيز

لا انكر فضلك العميم . لكنني بلغت من العمر ما يمكنني من العناية بنفسي . ولورضيتك وصياً او قيماً علي كنت اقتربت بك من سنين طويلة . ويسوني القول اني لا اقدر ان ارثي لحالة السيدة التي كانت زوجة للورد ارنفورد . ويجب ان افضل العمل باشارة زوجها على اجابة التماسها والسلام

— يالك من فتاة شقية وجاهلة غبية . ألا تعلمين اني لاجلك اتيت اوربا والآن كنت طوحته بنفسك الى دركات الشقاء والدمار . وأخذت بخداع هذا الكاذب العياري . وانت

يا سيدي ارلتفورد اظنك بلغت غاية شوطك وقد أعددت لك شركاً لا تقوى على الافلات منه . واني لأشكرك بل اشكر العناية التي قدرت لي ان أشاهد بداية ونهاية أغرب حادثة جرت في لندن

واذ ذاك دخل الخادم يعلن قدموك سافيل فقال بركز : —

— اهلاً بالمستر سافيل . أراك جئت قبل الوقت . اذا لم يصلك كتابي

— لم أر منك كتاباً . وقد جئت لاقف على مجرى الاحوال . واحضرت صورة الإقرار

المطلوب من ارلتفورد توقيعه وهو في تسخين هاتان هما

فاخذها بركز ونظر فيهما نظرة المتفحص وقال : —

— هل يكتبني غودارد باقرار كهذا ؟

— نعم يكتبني ان يوقع ارلتفورد هذا الاقرار ويبرح انكلترا في الحال

— وهل تظنن فعل هذا ؟ — لا اعلم

— وعدني انه يكون هنا الساعة التاسعة . ولما نصحنه بالمدول عن طلب التزوج باينة

عني وانذرتني بسوء العاقبة ابي قبول النصح ولم يبال بالانذار . فمسي البارونة التدروف ان

تحقق ما قالته لي من جهة حصولها على قوة كافية لدعوي . واقول لك ان محاولة كيج جاحه

وترويضه ليست من المئات الهينات

— ويسرفني جداً أنك تخلصت منه على رغم تعلق ابنة عمك به

— كيف ؟ وهل تخلصنا منه ؟

— نعم فانه بعد الحادثة التي طرأت لم يعد يهيمه الاقتران بها

— اية حادثة تعني ؟

— حادثة حصوله على ثمانية آلاف جنيه في السنة ا فهل دار في خلدك ان شرراً خلق

الله يفوز بجبة افضل النساء ؟ ان الس تروم الان الرجوع اليه وقد رضيت ان تعطيه ثمانية

آلاف جنيه في السنة . وهي مستعدة لتترك انكلترا معه

— متى تصل البارونة — الشيطانة الجميلة ؟

— في الوقت المطلوب . ان هذه المرأة سرٌّ غريب وقوتها فائقة الادراك . ولسوف تكون

ليتنا هذه ليلة شديدة الاحوال . وسأذهب الآن للتنيش عن امراتي وبعد ربع ساعة اعرد

وبعد خروجي دخل الخادم واعلن قدموك اخي املي دشوش فاخذت بركز الحيرة

والانتباه وقال : —

— كرتير؟ الماجور هومر كرتير؟ أي أعرف الاسم بعض المعرفة واما مسماه فلا اذكره

فقال له الخادم : —

— يقول صاحب هذا الاسم انه يروم مقابلتك دقيقة واحدة

— قل له يدخل

فدخل الماجور كرتير وقال : —

— اجتمعنا مرة في بيت اللورد ارنفورد

— تذكرت الآن . فماذا ثروم مني ؟

— ارسلي اللورد ارنفورد لاخبرك بانه لا يستطيع الحضور في الوقت المعين

— هكذا توقعت واظنته —

— عرض له امر لم يكن في الحسبان فينتك معذرا عنه لثلاثاً تقناظ من تأخرو سيف

الخي . ريسرني أن انتهر هذه الفرصة للبحث قليلا في الحوادث الجارية المكذرة . فان السيدة

ارنفورد عزمت ان تعرض على زوجها شيئاً وقد نصحت له ان يقبله

— وهل يهمني اقتراحها هذا ؟

— الى الغاية لانه اذا تم عدل ارنفورد عن الاقتران يابنة عمك

— سمعت شيئاً من هذا منذ بضع دقائق . واظنك لا تجهل ان حرية ارنفورد الشخصية

توقوف على الاجتماع الذي يتعقد هذه الليلة

— حرته ؟

— في هذا الاجتماع يطلب منه الاقرار باشتراكه في المكيدة التي سببت خراب القائد

غودارد . فاذا الى الاقرار وامر على الانكار اثبتنا الجرم عليه وعلى كل شريك له في جنابته

— أتى على رغم صداقتي لارنفورد مضطراً الى الاعتراف بشدة كدري من اشتراكه

في تلك الحادثة المخزنة

— هكذا توقعت . وهذا ما جرأني ان اتمس منك شيئاً بهذا المعنى . فاذا اردنا الاعتماد

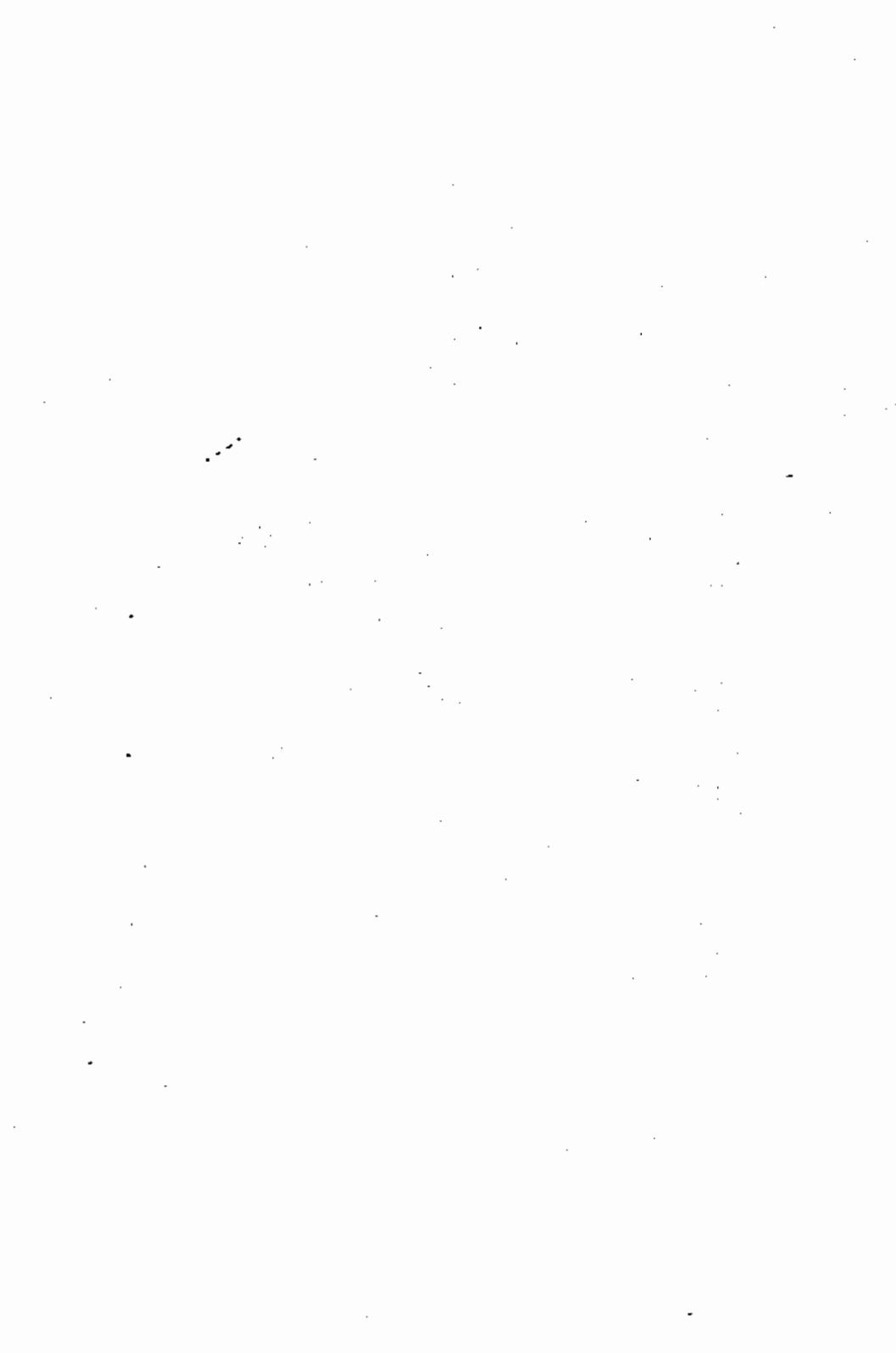
على شهادتك فنجبلاً لقضاء الامر فكم تطلب عليها ؟

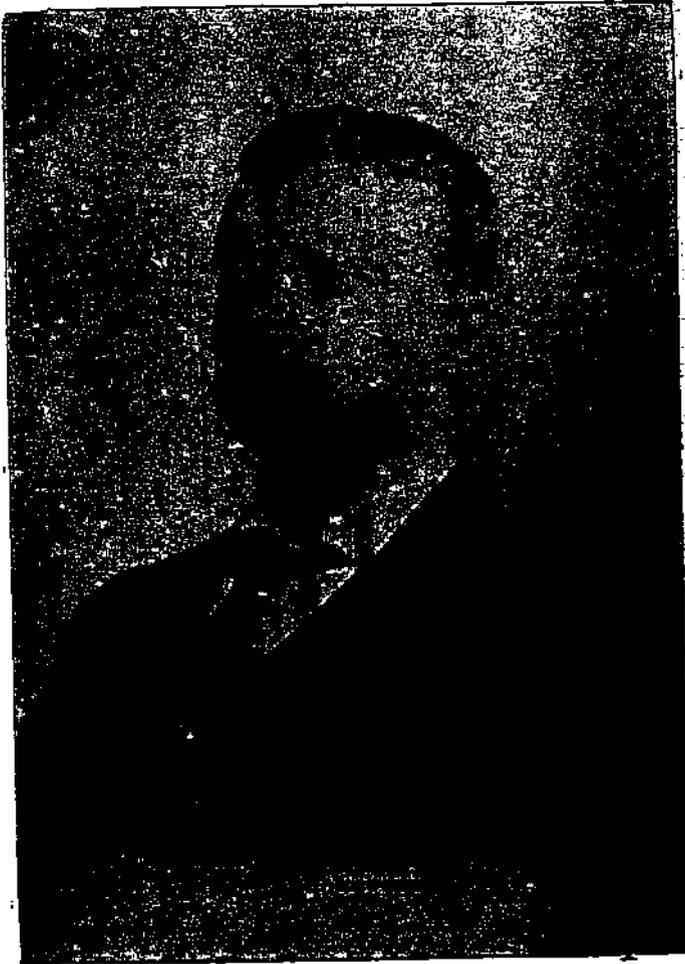
— خمسمائة جنيه

— تحصل على هذا المبلغ بعد نهاية الاجتماع . واذا شئت فاذهب الآن وارجع

بعد نصف ساعة

— ممماً وطاعة





روزفلت رئيس الولايات المتحدة